

# جواهر الإسلام

العددان 9 و 10 - السنة 20  
ربيع الأول 1443 هـ / أكتوبر 2021



# جواهر الإسلام

مؤسس المجلة فضيلة الشيخ الحبيب المستاوي رحمه الله

المدير ورئيس التحرير

الأستاذ محمد صالح الدين المستاوي

العنوان	28 نهج جمال عبد الناصر - تونس 1000
الهاتف الفاكس	216.71.327.130 216.71.423.233
البريد الإلكتروني الموقع الإلكتروني	mestaoui.s@gnet.tn www.jawhar-al-islam.info
الحساب الجاري بالبنك العربي لتونس (الجزيرة)	010000211110000238106
ISSN	0330-4957

الاشتراك للمؤسسات

بتونس: 30.000د

بالخارج: 30 أورو

الاشتراك بتونس

للأفراد: 20.000د

بالخارج: 20 أورو

الثمن للأفراد

بتونس: 3.500د

بالخارج: 3.50 أورو

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ  
بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾

صَلَّى  
الصلوات



# جواهر الإسلام

مؤسس المجلة فضيلة

الشيخ الحبيب المستاوي رحمه الله

المدير ورئيس التحرير

الأستاذ محمد صالحي الدين المستاوي

## المحتوى

- 6 ..... الافتتاحية : الحب لرسول الله ﷺ والفرحة به هو لب الدين وجوهره  
**رئيس التحرير**
- 9 ..... حبيبي يا محمد... يا من علمتنا الحب  
**صالح الصاجة**
- 11 ..... تفسير آيات من القرآن الكريم  
**الشيخ الحبيب المستاوي - رحمه الله**
- 14 ..... نظرات في منهج الإمام الأشعري  
**العلامة عبد الله بن الشيخ المحفوظ بن بيه**
- 21 ..... حاجة الأمة إلى استحضار وصايا رسولها الأكرم ﷺ والاستهداء بها في معاركها  
**التحريرية والتنموية**
- أ.د. أبو لبابة حسين
- أورنغ زيب عالم غير : والفرصة التي أضاعها على الأمة لتحقيق التقدم العلمي....  
**وهيد الدين خان**
- 32 ..... مقاصد أركان الإسلام  
**الأستاذ حامد المهييري**
- 35 ..... في رياض السنة : الحديث السابع عشر وجوب الإحسان في كل شيء  
**الأستاذ محمد صالح الدين المستاوي**
- 41 ..... التعريف الفصيح لكتاب: مشكاة المصابيح للمحدث محمد الخطيب التبريزي  
**أ. صالح العود**
- 44 ..... التوكل الشرعي مشروط بإقامة الأسباب  
**فضيلة الدكتور أحمد الطيب**

- 46..... متى نرى علماء المسلمين وحكامهم في مستوى مسؤولياتهم ؟  
**فضيلة الشيخ الحبيب المستاوى - رحمه الله**
- 48 ..... نحو مؤسسات إفتائية رقمية  
**فضيلة الشيخ الدكتور شوقي إبراهيم علام**
- 53..... جوانب متميزة من شخصية المنعم الشيخ الأستاذ البشير العريبي  
**الأستاذ محمد العزيز الساهلي**
- 58..... الشيخ محمد بلكير رحمه الله: ملامح من سيرته وجهوده في نشر العلم  
**الأستاذ محمد ربيات الحسني**
- 61..... الشاعر الهندي الشهير غلام علي آزاد البلكرامي الملقب بحسان الهند  
**الأستاذ صالح العود (فرنسا)**
- ..... فضيلة الشيخ محمد الكامل سعادة الإمام بجامع الزيتونة وأحد رموز اسلام  
62..... السماحة والوسطية.....
- 64..... ماهي الحلول الكفيلة بعودة العصر الذهبي للزيتونة ؟  
**محمد صالح الدين المستاوى**
- 67 ..... إجتمع لسيدنا محمد ﷺ ما لم يجتمع لكل الأنبياء والمرسلين عليهم السلام  
**محمد صالح الدين المستاوى**
- 70..... نبذة تاريخية للتعريف بالمكتبة البارونية.....  
**إعداد وتقديم: سعيد بن يوسف الباروني**
- 77..... «وثيقة التعاون والتكامل الإفتائي»  
86..... من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين.....  
**فضيلة الشيخ محمد الحبيب النفطي - رحمه الله**
- 89..... سباحة غريق في بحر سيدي بلحسن الشاذلي.....  
**صالح الصاجة**



من يمن الطالع أن يقترن صدور هذا العدد 9/10 من السنة 20 من مجلة جواهر الإسلام في سلسلة اصدارها الجديدة بذكرى المولد النبوي الشريف على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التسليم وهي مناسبة اعتاد المسلمون في هذه الربوع (تونس الزيتونة والقيروان) وفي بقية ديار الإسلام وحيثما وجد مسلمون ومنذ قرون طويلة أن يقفوا عندها باعتبارها من أعظم أيام الله التي امتن الله بها على عباده وامرالله بالتذكير بها ( وذكرهم بأيام الله) وبعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة.

فيوم مولد رسول الله سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام هو بلا منازع سيد الأيام والذي توالى بعده ممن الله على عباده بالرحمات والفتوحات والبشريات فكانت البعثة وكان الاسراء وكانت الهجرة وكانت ليلة القدر وكانت بدر وكان الفتح وكان الحج الأكبر وكان اكمال الدين واتمام النعمة.

ولذلك استحق يوم المولد وشهر المولد ان يكونا مناسبة لشكر الله على نعمة الإسلام وبعثة سيد الانام خاتم النبيين وإمام المرسلين عليه الصلاة والسلام الذي اخرج الله به الناس من الكفر والضلال إلى الهداية والايمان ومن الضيق إلى السعة ومن الجور إلى العدل ومن الظلام إلى النور فكان عليه الصلاة والسلام رحمة الله بالناس كافة (وما ارسلناك الا رحمة للعالمين).

وشكر الله على ما من به على المؤمنين بميلاد وبعثة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم يكون بالتقرب إلى الله بكل ما يرضيه من الطاعات والقربات وقد أذن رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن استأذن من أصحابه في صيام يوم الاثنين قائلا له (صمه ذلك يوم ولدت فيه وبعثت فيه). والشكر لله تبارك وتعالى على نعمة ميلاد سيدنا محمد وبعثته عليه الصلاة والسلام تكون بابداء كل مظاهر السرور المشروعة فرحة برسول الله صلى الله عليه وسلم وكيف لا يفعل ذلك والواحد منا يفرح بمولود يرزقه

الله له أو نجاح في امتحان وترقية في مجال من مجالات الحياة الدنيا المختلفة وماذا يساوي كل ذلك بالنسبة للمنة الإلهية بميلاد وبعثة خير البرية. أفلا يستحب بل يجب على كل مسلم ابداء الفرحة والسرور برسول الله صلى الله عليه وسلم فرحة وسرورا لا يتعارضان مع ما أمر به الله ورسوله.

واحياء ذكرى المولد النبوي هو تعبير عن الحب الصادق والفياض لرسول الله صلى الله عليه وسلم وبحب رسول الله يتذوق المؤمن حلاوة إيمانه (وان يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما). ولا يكون المؤمن مؤمنا حقا ومؤمنا كامل الإيمان حتى يكون رسول الله أحب إليه من ماله وولده ووالديه ونفسه التي بين جنبيه وهو ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم لصاحبه الفاروق رضي الله عنه (الآن أمنت يا عمر) وقد كان رضي الله عنه قال (لانت أحب إلي من مالي وولدي ووالدي إلا نفسي التي بين جنبي) قال له رسول الله (ونفسك التي بين جنبيك).

ان حب رسول الله صلى الله عليه وسلم هو صميم الدين وهو علامة تغلغل الإيمان في قلب المؤمن وحب رسول الله هو زاد المؤمن ليوم الوقوف بين يدي الله للحساب لا يعتمد على سواه من عمل مهما كان هذا العمل صالحا خالصا. وبهذا المعنى أجاب رسول الله الصحابي الذي سألته عن الساعة قال له عليه الصلاة والسلام وما ذا أعددت لها. قال الصحابي لم اعدد لها يا رسول الله كثير صلاة وصيام بل أعددت لها (للساعة) حب الله ورسوله هنالك قال له رسول الله (ابشر فأنت مع من أحببت) أي في الجنة.

وانا نشهد الله اننا نحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ونعبر عن ذلك بكل وسيلة مسخرين كل ما بين أيدينا (توسعة على الأهل وذوي الأرحام وكراما لمن يحبون رسول الله صلى الله عليه وسلم) نفعل ذلك ونغتني ذلك يوم المولد وشهر المولد وفي كل آن وحين على مدار العام للتذكر والتدبر لمن الله علينا وتفضله علينا بان جعلنا من أمة هذا النبي العظيم والرسول الكريم عليه الصلاة والسلام الذي قال الله في حقه ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ فهو عليه الصلاة والسلام افضل خلق الله أدبه ربه فأحسن تأديبه ومدحه بما لم يمدح به أحدا من أنبيائه ورسله عليهم السلام فقال جل من قائل مخاطبا حبيبه ورسوله سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ وجعله الله أسوة وقدوة ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ وادعاء حب الله لا يكون ألا باتباعه عليه الصلاة والسلام (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) وهذا

الاتباع لا يتحقق بمجرد اتباعه في أداء الشعائر (صلوا كما رأيتموني أصلي) و(خذوا عني مناسككم) والوقوف عند ويل للمصلين بل يجب على المسلم اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل جوانب هديه (في المشاعر وفي الأقوال وسائر الأفعال والتصرفات) من شمائله وسيرته عليه الصلاة والسلام وهو الذي أدبه ربه فأحسن تأديبه -وتلك ويا للأسف الشديد هي الفريضة الغائبة في حياة المسلمين اليوم الا من رحم ربك -

وكل جوانب سيرة وشمائل رسول الله صلى الله عليه وسلم تناول تدقيقها وتحقيقها علماء الأمة قديما وحديثا (نثرا وشعرا) حتى وانت تقرأها لكأنك تراه رأي العين أمامك عليه الصلاة والسلام وذلك في مئات المدونات التي لا يتسع المجال حتى لذكر أقل القليل منها.

وبعض هذه المصنفات في السيرة والشمائل المحمدية وقصص المولد والمدائح النبوية هي التي لا تزال تغتم ذكرى المولد النبوي لقراءتها وتعطير المجالس بها على امتداد دار الإسلام بل وحيثما يوجد مسلمون هناك في أوروبا والأمريكيتين وفي غيرها من بلاد الله الواسعة وازداد نسق الاحتفال برسول الله واتسع في السنوات الأخيرة خصوصا بعد ظهور الصور الكاريكاتورية المسيئة لرسول الله صلى الله عليه وسلم واتسع الطلب على كتب السيرة والقرآن الكريم بمختلف اللغات (فرنسية وانجليزية وألمانية وإسبانية) وغيرها من اللغات وكان ذلك دافعا للكثيرين لتصحيح الصورة المسيئة للإسلام ولرسول الإسلام وكتاب الإسلام وانتهى بالكثير من هؤلاء الباحثين عن الحقيقة إلى اعتناق الإسلام و(رب ضارة نافعة) كما يقال.

مضت الأمة على الاحتفال بذكرى المولد النبوي بكل فئاتها -الا من أبى وله ذلك -ما لم ينكر على غيره الفرحة برسول الله صلى الله عليه وسلم وتعليم أولاده وأهله محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل ما في رسول الله في خلقه وأخلاقه يحجب فيه عليه الصلاة والسلام وهو كمال وجمال لا يرتقي إلى درجته سواه عليه الصلاة والسلام.

بهذا العدد 9 / 10 من مجلة جوهـر الإسلام (الحافل بالدراسات العلمية والأبواب القارة) تودع سنتها 20 وتنهياً لدخول سنتها 21 ماضية في خط تقديم الإسلام دين الوسطية والسماحة والاعتدال ودين التنوير والتيسير سائلين الله العلي القدير العون والسداد والرشاد انه سبحانه وتعالى سميع مجيب .

**رئيس التحرير**





- كن محبا ..
- وكن صاحب قلب سليم ...
- والقلب السليم نقي .. وبهي ... وطاهر ... لا يعرف الا الحب ...
- انه القلب الذي يقود صاحبه إلى البر والتقوى والخير والمحبة ...
- وهذا القلب أول ما يخفق يخفق بمحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم .
- انه حبيب كل مسلم ... وحبيب كل عربي ... وهو من علمنا ان الحياة لا تكون حياة الا بالحب ...
- وهو الذي أوصانا بان نحب لغيرنا ما نحبه لأنفسنا ...
- ولو انت تعمقت في جوهر الإسلام ... وروحه ... وما بين سطوره ... وآياته ... ووصاياه لوجدت انه دين الحب ...
- هو دين التسامح ... والتصالح ... والتناصح ... والتوادد ... والتعايش ... وهذه كلها دوائر مفتوحة على بعضها البعض ...
- دوائر تتمازج ... وتتفاعل ... بينها اتصال وانسجام وترابط لتدور في نهاية الأمر في فلك واحد ... - فهل تعرفون ما هو هذا الفلك ؟ ..

- انه فلك الحب والمحبة والارتباط الوثيق بمحبة رسول الحب الذي جاءنا برسالة عظيمة مفادها : احبوا بعضكم البعض ... ولا تكرهوا ... ولا تتنازوا ... ولا تقنطوا ... ولا تكفروا ... - وانت اذا لم تحب صاحب الرسالة لن ترى في الحياة الصراط المستقيم ... ولن تكتشف النور ... ولن تحلق عاليا وبعيدا ... وستسقط ان آجلا أو عاجلا في حفرة من نار ...

- وهذه الحفرة المظلمة ... والقدرة ... والضيقة ... التي يصعب فيها التنفس هي حفرة الكراهية ... والحقد ... والحسد ... والحزن ... والقرف ...  
- حفرة تجعل الإنسان يكره نفسه ... ويمضغ أيامه وكأنه يمضغ لحمه ... فلا طمأنينة ... ولا امن ولا أمان ... ولا لذة ... ولا سعادة ... ولا راحة بال ...  
- اذن هي حفرة يموت فيها الإنسان قبل الموت ... يفنى قبل موعد المغادرة ... ويودع قبل الوداع ...  
- لماذا ؟

- لأنها حفرة لا تنمو فيها أزهار الخير ... ولا تعيش فيها أشجار الحياة ...  
- حفرة لا ربيع فيها ...  
- حفرة لا ماء ... ولا هواء فيها ... ولا أمل فيها ...  
- وما أضيق العيش لولا فسحة الأمل ...  
- وعيشة لا حب فيها .. جدول لا ماء فيه ...  
- إن الإسلام رسالة ... ومعنى ... وهدف ...  
- رسالته الحب .. ومعناه المحبة ... وهدفه أن تحب لأخيك ما تحبه لنفسك ...  
- كن محبا ... فانت عندما تفقد القدرة على المحبة تفقد القدرة على الحياة ..  
- وذلك هو اعظم ... وأعمق ... واجمل درس علمنا إياه رسولنا العربي الحبيب ...  
- لقد علمنا ان الحياة لا تكون حياة كريمة ... وراقية ... وعادلة ... ومستقرة الا بالحب ...

- ان شريعة هذا الرسول العظيم هي شريعة الحب ...  
- وان الإسلام اذا زال منه الحب ضاع جوهره ...  
- ومن لا يحب لا دين له ...



## تفسير آيات من القرآن الكريم

بقلم : الشيخ الحبيب المستاوي - رحمه الله

﴿لَمَنْ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ (41) إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (42) وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (43) وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ (44) وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذَّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ (45) وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ أَوْلِيَاءَ يَنْصُرُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ (46)﴾

سورة الشورى

جاءت الآية الأولى مقررة لما تقدم في الآيات السابقة وهو مسألة الجزاء والاقتصاص الذي هو كما اسلفنا حق شرعي لإيلاء من تمسك به يستحق كل أجر وشكر ﴿لَمَنْ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ﴾ نعم ليس لأحد عليهم من طريق للمعاقبة واللوم اخرج ابن مردويه عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (إذا كان يوم القيامة أمر الله مناديا ينادي الا ليقم من كان له على الله أجر فلا يقوم إلا من عفا في الدنيا وقرأ قوله تعالى ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ وروى انه صلى الله عليه وسلم قال لأبي بكر رضي الله عنه) ثلاث كلهن حق ما من عبد ظلم

بمظلمة فيغضي عنها إلا أعزه الله تعالى بها ونصره. وما فتح رجل باب عطية يريد بها صلة إلا زاده الله بها كثرة وما فتح رجل باب مسألة إلا زاده الله عز وجل قلة) ويتنقل سياق الآيات من مسألة التجاوز والدفاع الشرعي إلى مسألة تعمد الظلم مبينة للعواقب الوخيمة التي تنتظر الظلمة والمفسدين، وتصل في بيانها إلى درجة العرض التشخيصي للخواتم المؤلمة التي تنتظرهم وهي آتية لا ريب فيها فلنستمع إلى العزيز القدير يسوق لنا كل ذلك بأسلوب بليغ حكيم ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ السبيل للاقتصاص والانتقام والتأديب سواء في هذه الدار أم في الدار الآخرة لن يكون إلا على من يعتدون على الضعاف من خلق الله فيغتصبون حقوقهم ويدوسون كرامتهم مغترين بما أوتوا من أسباب القوة المادية أو المعنوية تلك القوة التي كان عليهم أن يرحموا بها من سلبتها الأقدار منه. وإن تكون وسيلة للخير وجلب المصالح ولكنها وباللأسف بدلت شعورهم وحجرت عواطفهم فأنستهم ضعفهم البشري وواجباتهم الإنسانية المقدسة ولقد توعدهم الله بالعذاب الأليم واطلقه فلم يقيده بزمن ليشمل الدنيا والآخرة

وما من يدٍ إلا يدُ الله فوقها \* ولا ظالمٍ إلا سيلى بأظلم

ويأبى المولى سبحانه وتعالى بعد التهديد الصارخ والوعيد المذهل إلا أن يعقب عليه بما هو كالجملة المعترضة من قوله جل من قائل ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ كلام مؤكد بمؤكدات متعددة يأتي بعد تخويف ليدل على أن الله سبحانه وتعالى يحب من عباده الصبر والحلم والتجاوز وإن ذلك لا بد أن يكون سببا لإدراك كل الأمور المحببة المؤدية إلى الخير الدائم ﴿إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ ثم يقطع سبحانه وتعالى الطريق عن أولئك الذين يخيل إليهم طيشهم وغرورهم أن أقوياء العباد يستطيعون أن ينفعوا أولياءهم وأقاربهم الذين أضلوهم فيقول ﴿وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ﴾ وكيف يهدي من أضله الله؟ وكيف ينقذ من أراد الله اهلاكه؟ أبدا لن يكون شيء من ذلك وقد أكد هذا المعنى في مناسبات كثيرة منها ﴿وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾ ويأتي بعد التقرير والإثبات دور العرض التشخيصي لمآل الظلمة الأفاكين حتى تشارك جميع مناقذ الإدراك في اكتناه الحقيقة السرمدية وهي اهلاك الظلم والظالمين مهما كان نوع الظلم سواء كان للأفراد أم للجماعات، وسواء أكان للنفس أم للمثل والفضائل فهو كله بشع مستفزع يمقته الله ويمقته كل من له ضمير (الظلم ظلمات يوم القيامة) سوف يحشر الظالمون كالذر

تدوسهم الخلائق ولا يؤبه بهم جزاء ما قدمت أيديهم وسوف يقال لكل متناول ظلوم ﴿دُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ ﴿وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ﴾ استمع أخي إلى ربك العزيز يخاطب أذنك وعينك فيقول ﴿وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذَّلِيلِ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾ الست تشاهدهم وقد نكست منهم الرؤوس وجردوا من جميع وسائل الانتفاش والغرور حتى انهم لا يستطيعون أن يواجهوا الأشياء بأبصارهم الذليلة المنكسرة الكئيبة، انهم أشبه شيء بالمجرمين المفسدين في الأغلال يسوقهم إلى غياهب السجون جنود قساة عتاة أو هم كالأسرى المثخنين بالجراح المعفرين بغبار الهزيمة يرفعون أيديهم علامة الاستسلام وهم صفر الوجوه غبر الألوان كأنما سودت وجوههم بالظلم يضحك منهم الصبية والنساء لا يلمح عليهم اثر للرجولة والقوة والعزيمة ومثل هذا العرض قوله تعالى في آية أخرى ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بَيِّنَاتٍ رَبَّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بَلْ بَدَأَ لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾

أن أمنية العودة إلى الحياة الدنيا أمنية سخيفة يقولها كل مفرط كذوب، وانهم لو مكنوا من هذه الرغبة لما فعلوا غير الذي كانوا يفعلون إزاء هذه المشاهد المفزعة والحقائق الناطقة يلهج أولئك المعافون الناجون الذين ألهموا رشدهم والتزموا الإيمان والتوفيق، يلهجون جميعا بمقالة واحدة مؤداها أن الخسارة التي لا تعوض هي هذه التي نشاهدها لان هذه التي نتيجتها الإفلاس الدائم والفرقة بين ذوي القربات والأصدقاء والأحباب ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ ﴿وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ﴾ مساكين هؤلاء الذين أبوا أن يقلعوا عن جبروتهم وطغيانهم حتى زجوا بأنفسهم في عذاب دائم لا ينتهي زمنه ولا تنقضي غصصه ولقد غاب الولي الحميم والجاه العظيم فلا تنفعهم معذرتهم ولا ينقذهم أنصارهم وأحبابهم لان جميع السبل والمنافذ تسد في وجه الذين أضلهم الله وسلب منهم الرشد وضرب على قلوبهم بالاسداد ﴿وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ أَوْلِيَاءٍ يَنْصُرُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ﴾ أجل ليس له من سبيل يصل به إلى الحق في الدنيا ولا إلى الجنة في الآخرة الا ليتنا نستمع إلى آيات الله بأذاننا وقلوبنا وليتنا نتنفع بها في آجلنا وعاجلنا وبذلك نكون من السعداء في الدنيا والآخرة.



## نظرات في منهج الإمام الأشعري

بقلم : العلامة عبد الله بن الشيخ المحفوظ بن بيه

رئيس منتدى تعزيز السلم في المجتمعات المسلمة

عندما نتحدث عن الشريعة فإننا نتحدث عن ضرورات الحياة عن الإنسان في الزمان والمكان في الحال والمآل؛ لكن عندما نتحدث عن العقيدة فإننا لا نتحدث بهذه اللغة. هذا فرق جوهري بين مقاصد الشريعة ومقاصد العقيدة. عندما نتحدث في مقاصد الشريعة نتحدث عن «لِمَ»، وعندما نتحدث عن العقيدة نتحدث عن «ماذا»: ﴿مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ﴾؛ لأنَّ تفسير (مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ) هو تفسير وليس تعليلاً، كما قال الإمام أبو حامد الغزالي، إنَّ التعليل يأتي بعد معرفة التفسير، ومعرفة الحكم ثم يبحث عن العلة كما يقول في «شفاء الغليل»، في مقاصد الشريعة نتحدث عن التعليل والتنزيل، وفي العقيدة عن التفسير وعن الدليل، -عن الدليل مفسراً، بالمعنى الواسع لكلمة التفسير، ليس التفسير مقابل التأويل؛ بل التفسير الذي يتعلق بدلالات الألفاظ-. وبالتالي فإن أول سؤال يطرح هو العلاقة الثلاثية بين: الوضع والاستعمال والحمل.

وهذه هي المشكلة الأولى التي نزلت بمُتعاطى قضية العقيدة، الوضع والاستعمال والحمل. الوضع: طرحوا السؤال وقالوا: الوضع هو من قبل الله سبحانه وتعالى فهو واضح الألفاظ للمعاني على مذهب الأشاعرة. -وهنا أتحدث عن الأشعري لا كآراء

منقولة، ولكن كمدرسة كاملة. أنا اعتبر أنَّ الأشعري لا يمكن أن يختصر في كتبه؛ ولكن يمكن أن ينتشر في أتباعه؛ لأنَّ العلماء انتسبوا إلى الأشعري وفسروا مقالاته، وقدموا مدلولات ألفاظه. هذا هو الأشعري، وليس الأشعري هو ذلك الرجل الذي انتقل من الاعتزال إلى الظاهرية، ومن الظاهرية إلى الوسطية، أو من الوسطية إلى الظاهرية؛ حسب الرؤى المختلفة حول مسيرة الرجل.

إذن المشكلة الأولى التي أريد أن أتطرق إليها هي مشكلة لغوية، أنا أعتقد أنَّ المشكلة الأولى التي نزلت هي مشكلة لغوية، هي مسألة الوضع والاستعمال والحمل. الواضع هو الله سبحانه وتعالى أو الاصطلاح الطبيعة كما يقول السيمري. الاستعمال: هو استعمال المتكلم فهي جهات ثلاث متقابلة؛ لكنها قد تكون مختلفة بالاعتبار متفقة بالذات. إذا كان الاستعمال يصب في مجرى الوضع، وإذا كان الحمل أيضاً يوافق الوضع، هنا بدأ الاختلاف بين العلماء؛ هل اللفظ مستعمل في حقيقته أم في مجازة؟ مستعمل في حقيقته الوضعية حقيقته الشرعية أم في حقيقته العرفية؟ هل هو نص أو ظاهر أو محكم كما يقول الأحناف؟ لأنَّ الأحكام عندهم فوق النص، أو مدلول عليه بالزوم، فيكون إشارة أو اقتضاء هل هو مفهوم خارج النطق؟ هل هو على ظاهره أم هو تأويل؟ هل هو مجمل؟ هل هو متشابه؟

الإشكاليات التي طرحها اللفظ، طرحها استعمال اللفظ، الرؤية لهذا اللفظ، الذي قد نراه بعيداً فنتمارى في حقيقته، وقد نقرب إليه وندنو ونرنو إليه فنراه على حقيقته أو بمنظار المقرب. الألفاظ هي هكذا، بعضها غامض، بعضها واضح، بعضها صريح وبعضها تلميح. فاعتقد أنَّ الإشكال الذي حاولوا أن يحلوه بوضع جملة من الألقاب وجملة من العلامات والأمارات لينبهوا بها، أو خانات ليضعوا فيها هذه الثلاثية: وضع، استعمال، حمل.

فالاستعمال بأنواعه من صفة المتكلم، والحمل من صفة المتلقي والسامع. هنا بدأت الجدلية، هذا الحامل - عندنا في أصول الفقه نقول الحامل هو المجتهد:

والحامل المطلق والمقيد ،،،،،

كما قالوا في أصول الفقه. لكن الحامل هنا هو مجتهد العقيدة، هو الإمام، هو المتكلم، هو الذي يحمل اللغة. فحمل اللغة هذا أدى إلى إشكال كبير، بين من تجاوز

الألفاظ تجاوزاً واضحاً - وهنا أتحدث عن المعتزلة ومن لف لفهم - ولم يعتبرها أوعية للمعاني، بل اعتبر المعاني خارج الألفاظ؛ بناء على ما يراه من بناء عقلي وفلسفي كان مقبولا في وقته، وبين من تعامل مع الألفاظ تعاملًا ظاهرياً - فجاً - وبالتالي: جعلها لا تحتل إلا هذا المعنى، وألغى ظلال اللفظ، وسياقاته ومساقاته، التي هي بمنزلة القيود وبمنزلة المخصصات. ليس من الشرط أن يكون المخصص ظاهراً، أو يكون قيداً مذكوراً، وإنما قد يكون قرينة أو سياقاً، فاعتبر السياق في قوله ﴿قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ لم يهتم بالسياق بالسلطان والملك والإحاطة والقدرة، وإنما اهتم فقط بيده. فإذا أخذت «يدا» وضعتها ولم تصلها بالآية، فقد أحدثت خللاً كبيراً حتى في الفهم العربي، في فهم الإنسان حتى أي إنسان يمكن أن يفهمها كذلك. فهذه الظاهرية غلبت في وقت من الأوقات قد لا تكون اعتقاداً ولكن سدا للذريعة، ولأجل ذلك أنكر قوم المجاز بناء على هذا الفهم. لكن هؤلاء أيضاً أولوا كما سنرى، فسنكون في تأويل مقابل تأويل، كان من الطبيعي ومن البديهي أن تظهر منطقية مدرسة بين المدرستين لتحاول أن تقول من جهة هذه الظواهر لها وزنها، واللغة لها مدلولها، وأيضا العقل وما تقتضي المبادئ العامة التي هي ليست عقلاً محضاً وإنما هي نقل وعقل أيضاً وهذا مهم جداً ألا نرى في موقف الأشعري عقلاً يقابل نقلاً، وإنما هو جمع بين العقل والنقل، وإنما هو تغليب للكلية أحياناً مقابل الجزئي. وهذه قاعدة أصولية معروفة كما يقول الشاطبي رحمه الله تعالى «إن الكلية لو أنخرم لأدى انخراجه إلى انخرام النظام - نظام العالم حسب عبارته -، أما الجزئي فإن انخراجه لا يؤدي إلى ذلك». فإنها مدرسة اهتمت بالكلية لكنه كلى مستنبط من النصوص. إذاً في معمعة الوضع والاستعمال والحمل نشأت هذه المدرسة؛ لكن الإشكال هنا أن الاستعمال ليس استعمالاً بشرياً حتى نفرق بين المتكلم والواضع، وإنما هو استعمال إلهي أي أن الألفاظ هي ألفاظ من الشارع من الله ومن رسوله صلى الله عليه وسلم. فلا يمكن أن نتعامل معها بدلالات العرف، ولكن قد نتعامل معها بدلالات الشرع، وإن كان بعض العلماء كأبي حنيفة يجيز التعامل بالعرف مع كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم: الطعام بالطعام» بأنه البر.

هنا نشأت مشكلة التأويل وهو صرف اللفظ عن ظاهره المتبادر إلى الذهن. فإن كان لا يتبادر إلى الذهن إلا بإخطار فهذا ليس ظاهراً، كما يقول بعض المحققين كسيدي أحمد زروق من الصوفية: إذا كان لا يتبادر إلى الذهن إلا بإخطار فهذا ليس



ظاهراً، فالظاهر الذي يتبادر إلى أذهان الناس. فجاءت مسألة الحمل في زمن الصحابة في قضية المعية ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ فحملت على العلم في الزمن الأول واستمر العمل على ذلك، ولا خلاف بين الأثرين وبين الأشاعرة في هذا الحمل:

وماله من ذاك واحد فقط \* تعين الحمل عليه وانضبط  
كمثل وهو معكم فأول \* بالعلم والرعي ولا تقول

بالعلم في مكان وبالرعاية والنصر في مكان آخر؛ باعتبار السياق الذي يرتضيه الأمر. لكن نجمت قضايا أخرى فيما يتعلق بالا وصاف الأخرى التي وردت في القرآن، فبعضهم وهم الأشاعرة أولوا تأويلاً منسجماً مع كل الآيات التي وردت، بحيث وضعوا قاعدة تأويل المحمل الواحد، وتأويل المحامل المختلفة مع أيضاً قبول بل تحبيذ التفويض؛ لأن الأشاعرة يقولون أيضاً بالتفويض، ولا يقولون بالتأويل فقط، وأن التأويل ضرورة لإيضاح ذلك لمن انحرف عن الطريق وزل عن الصواب.

فهذا التأويل هو تأويل في مقابل تأويل. وهذا أمر مهم، أريد أن أبينه مثلاً: في مسألة الجهة. جاءت ظواهر تفيد السماء، الأعلى جهة، ونحن نؤمن ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ لا يمكن لمؤمن أن يقول إلا هكذا. لكن مسألة الجهة هل هي أمر ثابت بمعنى أنه لا يجوز التأويل في هذه المسألة، ولا يجوز إلا أن نتحدث وتطلب من كل مسلم أن يشير إلى السماء لما في حديث الجارية، أو أن الآيات الأخرى ﴿فَإَيْنَمَا تَوَلَّوْا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ و﴿إِنَّ اللَّهَ فِي قِبَالَةِ وَجْهِ المصلى﴾، و﴿بين المصلى وبين قبلته﴾، «اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل» الآيات والأحاديث الأخرى الكثيرة، هل نؤولها لتتفق مع حديث الجارية من يقول بهذا وينكر التأويل هو في الحقيقة يؤول ليقرر معنى معيناً.

فلهذا قالوا: هذا له محامل، ونحن نحمله على المحمل الأولي أو نسكت؛ كما قال الشافعي: نؤمن بكلام الله على مراد الله ونؤمن بكلام رسول الله على مراد رسول الله.

فالخلل الآن في الفهم أن نرى أن هذا أثري وتمسك بالأثر، بينما نهمل عشرات الأحاديث والآيات الأخرى التي تقابل هذه الرؤية. بمعنى أنه هو مؤول في جهته ليس أثرياً خالصاً، فهو يؤول ليصل إلى رؤية معينة.

فهذه مسألة الحمل، مسألة مهمة، يجب أن نتوقف عندها، وأن نحرر هذا الموضوع؛ لنقدمه للناس، حتى نعرف أنه لا يوجد اختلاف يرجع إلى الآثار، وإنما هو اختلاف يرجع إلى حمل الآثار، وإلى التمسك ببعضها على حساب البعض الآخر. فالأشاعرة قالوا: نؤولها كلها تأويلاً مقارباً، تأويلاً قريباً حتى تنسجم، ولا نحمل بعضها على البعض الآخر: وجهاً لذاتٍ واليداً بقوة وذا الإمام أيدا

المسألة الثانية: والتي لا ترجع إلى دلالة الألفاظ هي مسألة التثبت والثبوت، وهذا أهم مقصد اختلف فيه الأشاعرة مع الأثريين ومع الظاهرية؛ هل لنطلق شيئاً على الله سبحانه وتعالى يجب أن يكون ثابتاً ثبوتاً خالصاً أي قطعياً ليس ظنياً؟

وبالتالي هذا فرق آخر بين الفقه الذي يُعمل فيه بالظنون قطعاً وبين العقائد التي لا يُعمل فيها إلا بالقطع، فوضعوا معيارين: معيار العقل الذي شهد له الشرع - إن الشرع أحالنا إلى العقل ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ يعني ليس العقل معناه أن تستسلم للعقل دون أن نستشير الشارع هذا خطأ آخر - فرجعوا إلى معيار العقل فيما يتعلق بانتفاء الاستحالة، ومسألة الجواز والوجوب؛ أي: أحكام العقل الثلاثة. وقالوا: يجب انتفاء الاستحالة.

ورجعوا إلى معيار النقل فيما يتعلق بالثبوت تواتراً، وأنه إذا لم يثبت تواتراً فلا يمكن أن يكون في مجال العقائد. لماذا هذا المقصد؟ لأن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَمَا يَتَّبِعْ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ (إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ). القائل الآخر يقول: ألغيتم الشريعة لا هذه هي آيات كلها في العقائد، وليست في الفقه ولا في الظنون. أما القضايا الفقهية، فلها حكمها، يعمل بها في حديث الأحاد. وقالوا: إن حديث الأحاد هو ظن بالضرورة «دخل النبي الكعبة ودخل معه أسامة وبلال، قال بلال صلى ركعتين، وقال أسامة لم يصل وإنما دعا في نواحيها. الزمان واحد والمكان واحد، والرجلان كلاهما ثقة، وحديثهما في الصحيح، أسامة قال: لم يصل شيئاً وإنما دعى، بلال قال: صلى ركعتين. إذاً هناك غفلة وذهول وقع، وهذا طبيعي؛ ولهذا أبو بكر رضي الله عنه رد حديث المغيرة بن شعبة في مسألة الجدد، ورد عمر حديثاً لأبي موسى الأشعري في مسألة الاستئذان، وإلى أحاديث كثيرة، ورد ابن عباس حديث أبي هريرة في قضية غسل اليد قبل إدخالها في الإناء بالعقل، وقال: كيف يصنع بالمهراس.

فالموقف ليس هو جديدا. هذا فقه الصحابة رضوان الله عليهم. إذا نحن أمام من يقبل التأويل في آيات الصفات، وأمام من لا يقبله. وأمام من يقبل آحاد الأحاديث في آيات الصفات وأمام من لا يقبل ذلك. موقفان متقابلان. التأويل قطعاً في كلام الله ثابت، النبي صلى الله عليه وسلم يقول عن الله سبحانه وتعالى في الحديث القدسي «يا ابن آدم مرضت فلم تعدني، فيقول: كيف أعودك وأنت رب العالمين، يقول مرض عبدي فلان». هم يقولوا نقتصر على هذا، نقول لا. هذا كان تنبيهاً ونبراساً على أن ما ورد من هذا النوع يمكن أن يؤول؛ لأنه مجاز «أولكن لحاقاً بي أطولكن يدا»، كن يتناولون حتى عرفن دلالة الحديث.

فالتأويل ثابت في كلام الله، هل نفرق بين كلامه في العقائد وبين كلامه في الفقه؟ هل هناك ضرورة لهذا التفريق؟

الأشاعرة قالوا: لا ضرورة، هو كلام الله وكلام رسوله. والآخرى يقولون في ضرورة النطق على ذلك الظاهر: هي ظواهر عديدة هي ظواهر تقابل ظواهر. وهنا اذكر ما قاله الشيخ محمد المامي: وإذا الظواهر عارضتك فلا تكن غرض الأسنة تتخذك نهابها

واصبر لها ذا نية وبصيرة      إن كنت تحسن في الوعى تلعبها  
وامنع تسلطها بصولة قلوب      يحمي الحقائق واغتنم أسلابها

فنحن نغتنم أسلاب الظواهر بالظواهر، ونعوذ بالله أن نقول على الله ما لم يقله.

فمسألة التثبيت - وهذا من أكبر المقاصد عند الأشاعرة - ترجع إلى حكمي العقل والنقل الثابت الذي يجب أن يكون تواتراً، تواتراً مبنياً على الحس أي على الرؤية أو السمع؛ لأنه ليس تواتراً مبنياً على الاعتقاد، لأنه يؤدي إلى تصويب تلك الطوائف التي تواطأت وتواترت على الكذب، وهذا رد أيضاً آخر.

ثم في هذا الدليل العقلي يجب أن يكون هذا الدليل العقلي مبنياً على القياس الكلي الشمولي، وليس مبنياً على القياس التمثيلي والاستقرائي. هناك نزاع شديد يقول: قياس تمثيلي يمكن أن نحيله إلى شمولي، لكن لو أحلته إلى شمولي لفقد صورة القياس؛ لأنه في الأصل انتقالاً من جزئي إلى جزئي، فستنتقل من جزئي إلى كلي لترجع وتنتقل به من كلي إلى جزئي. وهذا أوضحته لطلبتني بعد أن راجعت كلام

شيخ الإسلام ابن تيمية مع كلام أبي حامد الغزالي رحمهما الله تعالى. فاشترطوا قياس البرهان الذي يقوم المقدمات المسلمة في المجال العقلي؛ لن يقبلوا في العقل إلا البرهان، لن يقبلوا إلا القياس الكلي، لن يقبلوا في النقل إلا المتواتر القطعي.

هنا يكون الفرق قويا بين هاتين المدرستين.

أخيرا أشير إلى أن هناك ضوءاً من الاتفاق، وهو مسألة: بلا كيف.

وإن كان الحمل على الظاهر أحيانا لا يحتمل بلا كيف؛ لأنه هو تفسير خلاص انتهى. لكن إذا قالوا: يدُّ لا كالأيد، ووجه لا كالوجه، .

هنا هذا المنفذ يمكن أن نستغله في التقريب بين هاتين المدرستين اللتين تنتميان إلى نفس الشيوخ، إلى نفس العائلة السنية؛ لأنَّ أهل السنة من أثريين كما سماهم السفاريني... الأثريون والأشاعرة والماتريدية كلهم أهل سنة.

هذا الشعار ينبغي أن نرفعه، وأن نوضح ألا هؤلاء خرجوا عن الأثر، وألا هؤلاء أيضا احتقروا الأثر؛ بل الأثر هو للجميع، والنصوص القرآنية تؤيد جميع هذه الاتجاهات.

أخيراً فإننا في عصر العلم، هذا العلم أفاد الإنسان، وكشف الكثير؛ لكنه أظهر عجزه أيضا، عجزه على الأرض، هذه البركانات يقولون لا نعرف.

ممكناً أن نستفيد من هذا العلم في صياغة، ولا أقول في إثبات عقائد، ولكن في صياغة علم الكلام صياغة جديدة.

من مؤلفات العلامة الشيخ عبدالله بن بية رئيس منتدى تعزيز في

المجتمعات الإسلامية ابو ظبي الامارات العربية المتحدة

\* سد الذرائع وتطبيقاته في مجال المعاملات \* صناعة الفتوى وفقه الاقليات

\* الارهاب التشخيص والحلول \* تنبيه المراجع على تأصيل فقه الواقع

\* خطاب الامن في الإسلام \* مشاهد من المقاصد \* اشارات تجديدية في

حقول الأصول \* أعمال المصلحة في الوقف \* مقاصد المعاملات ومراصد

الواقعات \* توضيح أوجه الاختلاف في مسائل من معاملات الأموال

\* فتاوى فكرية



## حاجة الأمة إلى استحضار وصايا رسولها الأكرم ﷺ والاستهداء بها في معاركها التحريرية والتنموية

أ.د. أبو لبابة حسين (\*)

تُعَدُّ حَجَّةُ الْوُدَّاعِ مَعْلَمًا بَارِزًا فِي حَيَاةِ الدَّعْوَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَبِنَاءِ دَعَائِمِ الْإِسْلَامِ وَتَرْسِيخِ قِيَمِهِ وَمُبَادئِهِ الْعُلْيَا، فَقَدْ كَانَتْ هَذِهِ الْحَجَّةُ آخِرَ أَعْمَالِ النَّبِيِّ ﷺ الْكَبْرَى، فَقَدْ أُنْجِزَتْ فِي ذِي الْحِجَّةِ مِنَ السَّنَةِ الْعَاشِرَةِ، قَبْلَ التَّحَاقِقِ ﷺ بِالرَّفِيقِ الْأَعْلَى بِثَلَاثَةِ أَشْهُرٍ حَيْثُ تُؤَفِّي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي الثَّانِي عَشَرَ مِنْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ مِنَ السَّنَةِ الْحَادِيَةِ عَشْرَةَ لِلْهِجْرَةِ. [11.03.12هـ].

فَهِيَ لِقَاءُ أُمَّةٍ بِرَسُولِهَا فِي ظِلِّ شَعِيرَةٍ مِنْ أَعْظَمِ شَعَائِرِ الْإِسْلَامِ هِيَ الْحَجُّ، وَهُوَ لِقَاءُ تَعْلِيمٍ وَتَصْحِيحٍ وَتَوْصِيَةٍ وَوَدَاعٍ. فَقَدْ عَلَّمَهُمْ ﷺ مَنَاسِكَهُمْ وَبَيَّنَ لَهُمْ عَمَلِيًّا كَيْفِيَّةَ أَدَائِهَا، «بَعْدَ أَنْ طُوِّتْ تِلْكَ التَّقَالِيدُ الْجَاهِلِيَّةُ الْمُتَوَارِثَةُ، مِنْ مُكَاةٍ وَتَصَدِيدٍ وَصَفِيرٍ وَضَجِيجٍ وَعُرْيٍ أَثْنَاءِ الطَّوَافِ»، وَطَهَّرَ مَنَاسِكَ الْحَجِّ مِمَّا أَلْحَقَهُ بِهَا الْجَاهِلِيُّونَ مِنْ تَقَالِيدٍ بَاطِلَةٍ صَبَغَتْهَا بِصَبْغَةِ الشَّرْكِ، وَأَعَادَهَا إِلَى سَالِفِ عَهْدِهَا مِنَ النِّقَاءِ وَالصَّفَاءِ الَّذِي كَانَتْ عَلَيْهِ فِي عَهْدِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ تَشَعُّ بَنُورِ التَّوْحِيدِ وَتَقُومُ عَلَى أُسَاسِ الْعِبَادَةِ الْمَطْلُوقَةِ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْأَحَدِ.

(1) رئيس جامعة الزيتونة تونس، سابقاً - عضو مجمع البحوث الإسلامية، القاهرة.

أما خُطْبَتُهُ عليه الصلاة والسلام التي ألقاها في سَفْحِ عرفات فقد لَخَّصَ فيها تعاليمَ الإسلام ونظامَهُ الرِّبَانِيَّ الفريدَ في كلماتٍ جامعةٍ وموعظةٍ مُختصرةٍ ضَمَّنَهَا كَوَامِنَ وَجْدَانِهِ وَ لَوَاعِجَ مَحَبَّتِهِ لِأُمَّتِهِ. وَخَاطَبَ فِيهَا مِنْ خِلَالِ الْأَلْفِ الْمُؤَلِّفَةِ مِنْ شُهُودِ ذَلِكَ الموقِفِ التاريخيِّ الرهيبِ بَعْرِفَةً، أَجْيَالَ الأُمَّةِ المتعاقبةِ والتي سَتُؤَوِّجُ بِهَا مِشَارِقُ الأَرْضِ وَمِغَارِبُهَا، والتي سَيَحْتَضِنُهَا العالَمُ الإسلاميُّ الكبيرُ فيما يَأْتِي مِنَ السنين والقرون، فيُنْهِي إليها نَصَائِحَهُ وتوصيَّاتِهِ مِنْ خَلْفِ حَوَاجِزِ الزَمَنِ وَمِنْ وَرَاءِ أَسْوَارِ القرون.

وقد لَمَّحَ عليه الصلاة والسلام إلى قُرْبِ رَحِيلِهِ إلى الرِّفِيقِ الأعلى، وإلى أَنَّ مَهْمَّتَهُ فِي الأَرْضِ تَوْشِكُ أَنْ تَنْتَهِيَ فَاصْطَبَغَتْ خُطْبَتُهُ بِوَصِيَّةٍ مُودَّعٍ: « أَيُّهَا النَّاسُ: اِسْمَعُوا قَوْلِي، فَإِنِّي لَا أَدْرِي لَعَلِّي لَا أَلْقَاكُمْ بَعْدَ عَامِي هَذَا، بِهَذَا الموقِفِ أَبَدًا. »

بعد أَنْ أَدَّى الأمانةَ وَنَصَحَ الأُمَّةَ، وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ الدَّعوةِ إِلَى رَبِّهِ ثَلَاثَةً وَعِشْرِينَ عَامًا بِلَا كِلَالٍ وَلَا مَلَلٍ مُتَحَدِّيًا العِراقِيلَ والمِخَنَ والإحْنَ والمؤامراتِ والدسائسَ التي كَانَتْ تُقِيمُهَا وَتَحِيكُهَا جَحَافِلُ الشُّرْكِ والنِّفاقِ وأَعْدَاءُ اللَّهِ مِنْ يَهُودٍ وَمَنْ شَاعِيهِمْ آنَاءَ اللَّيْلِ وَأَطْرَافِ النَّهَارِ وَفِي السِّرِّ وَالْعَلَنِ. وَقَدْ أَثْمَرَتْ سِنَوَاتُ جِهَادِهِ غِرَاسًا زَكِيًّا تَوْحِيدًا خَالِصًا لِلَّهِ لَا تَشَوُّبُهُ شَائِبَةٌ مِنْ شُرْكِ ظَاهِرٍ وَلَا خَفِيٍّ، وَانْتِشَارًا لِلإِسْلَامِ الَّذِي غَزَا بِعَقِيدَتِهِ الوَاضِحَةِ وَشَرِيعَتِهِ السَّمِيحَةِ وَقِيَمِهِ النِّبِيلَةِ وَأَخْلَاقِهِ العَالِيَةِ الرِّفِيعَةِ وَوَاقِعَتِهِ وَيُسْرِهِ وَسَهُولَتِهِ القُلُوبِ والأَفْئِدَةِ وَاسْتَوْلَى عَلَى وَجْدَانٍ مِنْ لَامَسَهُ مِنْ قَرِيبٍ أَوْ بَعِيدٍ، كَمَا أَحْدَثَتْ نُقْلَهُ نَوْعِيَّةً فِي حَيَاةِ عَرَبِ الجَزِيرَةِ، وَأَحْدَثَتْهَا بَعْدَ ذَلِكَ فِي العَالَمِ كُلِّهِ - عَلَى مَلَحَظِ عَبَّاسِ العَقَادِ - « مِنْ رُكُودٍ إِلَى حَرَكَةٍ، وَمِنْ فَوْضَى إِلَى نِظَامٍ، وَمِنْ مَهَانَةٍ حَيَوَانِيَّةٍ إِلَى كِرَامِيَّةٍ إِنْسَانِيَّةٍ مِمَّا لَمْ يَحْقُقْهُ أَحَدٌ قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ مِنْ أَصْحَابِ الدَّعَوَاتِ. »<sup>(1)</sup>

لَقَدْ كَانَتْ عِظَّتُهُ وَوَصِيَّتُهُ التي ضَمَّنَهَا خُطْبَتَهُ مِنْهَجَ حَيَاةٍ، وَدُسْتُورَ أُمَّةٍ، وَمَعِينًا لِلْخَيْرِ وَالنَّصِيحِ وَالْإِرْشَادِ لَا يَنْضُبُّ وَلَعَلَّ مِنْ أَبْرَزِ القِيَمِ الأخْلَاقِيَّةِ التي يُمْكِنُ اسْتِخْلَاصُهَا مَا يَأْتِي:

## 1 - تحريم الدماء والأعراض والأموال:

فقد جعلها الرسول الأعظم ﷺ خطوياً حمراء لا يجوز انتهاكها أو تجاوزها:

« أَيُّهَا النَّاسُ: إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ إِلَى أَنْ تَلْقَوْا رَبَّكُمْ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا. »

(1) - عبقرية محمد: 11.

وهي قيمة تمثِّل قِمة الأمن والسلم الذي تتوق الشعوبُ إلى تحقيقه، قيمة وإن كان الخطابُ فيها موجَّهًا للمسلمين، إلا أنَّها كشأنُ كلِّ القيم الإسلامية تكتسي طابعًا إنسانيًّا عامًّا، حيث يتعامل بها المسلمُ مع أخيه المسلم كما يتعامل بها مع غير المسلمين ممَّن يُسالِمونه ويبادلونه الأمن والأمان، فتجعل أبناء المجتمع المسلم ومن يُعاشهم من أصحاب العقائد والملل الأخرى يعيشون الأمن والطمأنينة النفسيَّة، فيندفعون إلى العمل والإنتاج، والإسهام في النهوض والارتقاء بحياة الناس نحو الأفضل، طالما أنَّ الفرد أَمِنَ الخوفَ على أقدس مقدَّساته بعد دينه «دمه، وماله، وعرضه».

وهي قيمة تنزع الخوف من قلوب الناس، وتتيح لهم التعبير عن أنفسهم بحريَّة، وتحضُّهم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما تحضُّهم على التفكير والبناء والإبداع، مع الانفتاح على المجتمع وعلى العالم.

## 2 - المؤمنون إخوة وكلّ مسلم أخ للمسلم:

القيمة الثانية قيمة الأخوة الإيمانيَّة التي تربط بين أفراد الأمة على اختلاف ألوانهم وأعراقهم وألستهم، وهي أخوة منبثقة عن وحدة العقيدة، ووحدة التصوُّر لعالمِي الغيب والشهادة، وهي أخوة ترتفع فوق وشائج النسب والدم، تدعو المسلم لمحبة أخيه المسلم، والتفاني في رعايته وحمايته ونصرتِه والذود عنه، وتحريم ظلمه أو إذايته بأيِّ لون من ألوان الإذابة، حتَّى لَمِزه أو التعريض به أو هجره فوق ثلاث، فضلا عن سفك دمه أو انتهاك عرضه أو سلب ماله. فقال ﷺ :

« أَيُّهَا النَّاسُ: اِسْمَعُوا قَوْلِي وَاَعْقِلُوهُ، إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ، وَأَنَّ كُلَّ مُسْلِمٍ أَخٌ لِلْمُسْلِمِ، وَأَنَّ الْمُسْلِمِينَ إِخْوَةٌ .. فَلَا تَظْلِمَنَّ أَنْفُسَكُمْ »

وهي أخوة تجعل كلَّ المسلم على المسلم حرامًّا:

« فَلَا يَحِلُّ لِمَرِيٍّ مِنْ أَخِيهِ إِلَّا مَا أَعْطَاهُ عَنْ طَيْبِ نَفْسٍ مِنْهُ ».

## 3 - نَبَذُ الْقِيَمِ الْجَاهِلِيَّةِ وَاجْتِثَاثُ أَعْرَافِهَا:

ولكي تتوفَّر أسبابُ تطبيق محتويات القيمتين الأوليَّين، وجعل مضمونهما واقعًا معيشًا، كان لا بُدَّ من تحقيق قيمة أخلاقيَّة ثالثة بالغة الأهميَّة وهي نبذُ القيم الجاهليَّة

وإبطال أعرافها واجتثاثها من عروقها الشركية الكافرة التي تتغذى بسفك الدماء وإتيان الفواحش وإحياء الثارات، وأكل أموال الناس بالباطل. فأعلنها عليه الصلاة والسلام واضحة صريحة ومجلجلة:

« ألا وإن كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع »

ولعل من أخطر تلك الأمور الجاهلية التي تقض أمن الناس وتثقل كواهلهم وتملأ حياتهم خوفاً ورعباً، الذُّخُولُ، والثارات، والأحقاد، وسفك الدماء وأكل أموال الكادحين المُعْدَمِينَ الذين يدفعهم احتياجهم إلى الاقتراض الربوي المذلل والمستغل بلا رحمة. فأعلنها النبي ﷺ بحسم وبلا تردد:

« ودماء الجاهلية موضوعة .. وربا الجاهلية موضوع »

وحتى يكون لهذه القيمة الشفافية المطلوبة والقبول التام عند المسلمين، والعزم منهم على تنفيذها لحظة إعلانها بدأ الرسول الكريم ﷺ بآل بيته فقال عليه الصلاة والسلام:

« وأول دم أضع من دمائنا، دم ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب<sup>(1)</sup>، وأول ربا أضع ربا العباس بن عبد المطلب، فإنه موضوع. »

بل فإن كل ما كانت الجاهلية تعتز به وتعتبره من مآثرها ومفاخرها أبطله الرسول ﷺ حتى يضع حداً فاصلاً بين الجاهلية ومفاسدها وبين الإسلام دين الله المنزه، فقال:

« وإن مآثر الجاهلية موضوعة غير السدانة والسقاية »

ثم إنه عليه الصلاة والسلام يُحذِّرُ الأمة أيما تحذير من مخاطر النكوص على الأعقاب والارتكاس في الجاهلية من جديد فإن ذلك عين الضلال المبين:

« فلا ترجعوا بعدي ضللاً لا يضرب بعضكم رقاب بعض »

#### 4 - الحذر من الشيطان وتجنب صفائر الذنوب والآثام:

وإذا كانت الكبائر كالشرك بالله وسفك الدم الحرام، وأكل المال الحرام، وانتهاك الفرج الحرام، واضحة البشاعة، فإن لصغائر الذنوب دوراً خطيراً في إفساد الدين وتلويث نقاء النفوس وتعكير صفاء المجتمع، فحذر الرسول ﷺ منها:

(1) - كان مسترضعاً في بني ليث فقتلته هذيل.



« أيها الناس: إنَّ الشيطان قد يُؤس أن يُعبد في أرضكم هذه، ولكنَّه قد رضي أن يُطاع فيما سوى ذلك ممَّا تحقرون من أعمالكم، فاحذروه على دينكم ».

## 5 - محاربة التلاعب بالقيم وتطويعها لخدمة المصالح الخاصة:

ومن القيم الأخلاقية الخالدة التي أعلنها الرسول ﷺ في بيانه التاريخي بعرفة محاربة التلاعب بالقيم وتطويع القوانين العامة والأعراف المرمية لخدمة المصالح الخاصة وتحقيق المغنم الفردية أو القبلية، فقال عليه الصلاة والسلام:

« إنَّ النسيء زيادة في الكفر يضلُّ به الذين كفروا، يُحلِّونه عاما ويُحرِّمونه عامًا »  
ذلك أنَّ الجاهليين كانوا يتلاعبون بالأشهر الحُرِّم، فربَّما استبدلوا شهرًا حلالًا بشهر حرام، وربَّما مدَّدوا وأطالوا في مدَّة الحلال أو مدَّة الحرام، وربَّما قدَّموا أو أخروا شهرًا حرامًا على غيره حسبما تقتضيه مصالحهم الآنية متبعين هواهم مستسلمين لرغباتهم وشهواتهم الجموحة.

وقيل «يجعلون حجَّهم كلَّ عامين في شهر معيَّن من السنة، فيحجَّون في ذي الحجة عامين، ثمَّ يحجَّون في المحرم عامين وهكذا..»، فوضع الرسول ﷺ الأمور في نصابها وجعل الحجَّ في ذي الحجة والوقوف بعرفة في اليوم التاسع منه، واليوم العاشر يوم نحر.. وجعل ذلك قطعياً ونهائياً إلى قيام الساعة.

## 6 - الوصاية بالنساء خيراً والحفاظ على ما حقَّقه لهنَّ الإسلام من خير:

وهي قيمة كثيرًا ما يتجاهلها خصوم الإسلام من الصليبيين والملاحدة والعلمانيِّين، في حين يُعدُّ ما حقَّقه الإسلام للمرأة نقلةً نوعيةً رفعتها من حضيض الجاهلية التي بلغ بها احتقار المرأة إلى وأدها، إلى درجة مساواتها بالرجل في الإنسانية، وفي الحقوق والواجبات وفي المسؤولية الجنائية والقانونية، والرسول عليه الصلاة والسلام في بيانه الكبير في حجة الوداع إذ يوصي المرأة خيراً، فكأنَّه يُحذِّر المسلمين من أن ينكصوا على أعقابهم ويُفرطوا في المكاسب التي حقَّقتها الإسلام لها من احترام إرادتها وحرية اختيارها وما أولاها من مكانة رفيعة تليق بأقرب الناس إلى قلب المسلم بعد الله ﷻ ورسوله ﷺ، الأم الرؤوم، والزوجة الودود، والبنت العطوف، والعمة البارّة، والخالة الحنون.. ويحذِّرهم من أن يعودوا إلى التقاليد الجاهلية المدمِّرة فيرتكبوا في حق حاضنة الأجيال ما يُعطل مسيرة الأمة ويكبج نهوضها وإقلاعها نحو التقدّم:

« اتَّقُوا اللَّهَ فِي النِّسَاءِ، وَاسْتَوْضُوا بِهِنَّ خَيْرًا، فَإِنَّكُمْ أَخَذْتُموهنَّ بِأَمَانِ اللَّهِ وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللَّهِ، فَاعْقِلُوا أَيُّهَا النَّاسُ قَوْلِي فَإِنِّي قَدْ بَلَغْتُ »

ولا تفوتنا الإشارة إلى الفارق الكبير بين الحرية وكل الحقوق التي ضمنها الإسلام للمرأة، وما تهدف إليه من حماية كرامتها وإنسانيتها وشرفها وعزتها، وبين الحرية التي أتاحها الغرب للمرأة التي ترمي إلى استباحتها والتمتع بها والاتجار بمفاتها.

## 7 - التمسك بكتاب الله وسنة الرسول فهما المرجع وحبل النجاة:

والقيمة الهامة جدًا التي أكد عليها النبي ﷺ هي وجوب أن تمسك الأمة بأجيالها المتعاقبة وأعصارها المتتابعة بكتاب الله ﷻ وسنة نبيه ﷺ، فهما مرجعها الوحيد ومصدرها الأوحى في التشريع والحكم، وفي الجليل من أمرها والحقير:

« فاعقلوا أيُّها النَّاسُ قَوْلِي فَإِنِّي قَدْ بَلَغْتُ، وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا أَبَدًا كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّتِي »

فهما حبل نجاة الأمة من الضلال والزيغ، والحامي لها من الارتطام في هوة الذل والشقاء والضياع. فسلامة الأمة وسدادها وسوددها مرهون بالتمسك بهما، وكل تفريط فيهما وتغييب لدورهما في حياة المسلمين تكون ضريبته الضلال والانحدار والتدلي والذل المهين المشين.

## 8 - السمع والطاعة للحاكم المسلم ما أطاع الله:

وهذه قيمة أخرى كبيرة الخطورة أكدت عليها خطبة الوداع، تحقق التعائش السلمي بين الخليفة أو الحاكم أو الرئيس وبين الشعب أو المواطنين أو الرعية، وهي قيمة السمع والطاعة للحاكم المسلم مهما كان نسبه ولونه وعرقه ما التزم الإسلام وحكم بكتاب الله وسنة رسوله، واحتكم إليهما في كل النوازل والقضايا، فإذا حاد عنهما أو تجاهلها فلا سمع ولا طاعة:

« يَا أَيُّهَا النَّاسُ، اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَإِنْ أَمَرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ مُجَدَّعٌ، مَا أَقَامَ فِيكُمْ كِتَابَ اللَّهِ تَعَالَى ».

## 9 - المساواة بين الناس جميعًا:

ومن أبرز القيم التي أعلنها الرسول ﷺ في بيان عرفة، قيمة المساواة بين الناس جميعًا، فهم سواسية كأسنان المشط، فلا طبقية ظالمة، ولا دعاوى عنصرية بغیضة، ولا فروقاً عرقية مزيفة، ولا دعاوى التمييز والتفوق الكاذب، فالإسلام سوى بين الناس

في الحقوق والواجبات والحريات، وميّز بينهم فقط في العمل والتقوى والصلاح ونفع الخلق. يقول الرسول الأعظم ﷺ:

«أيها الناس! إنّ ربكم واحد، وإنّ أباكم واحد، كلكم لآدم وآدم من تراب، إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم، ليس لعربيّ فضلٌ على عجميّ إلا بالتقوى».

## 10 - حماية الأرقاء ومعاملتهم معاملة كريمة:

لقد أسّس الإسلام للعبيد والرقيق وهم إلى عهد قريب قبل تحريم الرقّ دُولياً يمثّلون عصب الإنتاج والمحرّك النشط للدورة الاقتصادية والعمرانيّة، عهداً جديداً يقوم على احترامهم والرفق بهم ومعاملتهم معاملة إنسانيّة قوامها الإحسان والإحساس بأنّهم بشر مكرّمون، لهم من الحقوق ما لسادتهم، فيجبُ صون كرامتهم وحفظ مشاعرهم وتلبية حاجاتهم بدون حيف ولا هوان، يقول النبيّ الأكرم ﷺ:

«أرقّاءكم، أرقّاءكم.. أطيعوهم ممّا تأكلون، واكسّوهم ممّا تلبّسون، وإن جاؤوا بذنب لا تريدون أن تغفروه، فبيعوا عباد الله ولا تعدّبوهم».

## 11 - أداء الأمانة:

ومن القيم الخالدة التي تضمّنتها خطبة حجّة الوداع، «حفظ الأمانة وأداؤها إلى صاحبها» وهي تمثّل مع الوفاء والصدق ملمحاً بارزاً من ملامح الإسلام، التي تسم المسلم بطابع مميّز هو التزام المروءة، بالترفع عن الأدناس وتجنّب ما يشين عند الناس، فقال ﷺ: «فمن كانت عنده أمانة فليؤدّها إلى من ائتمنه عليها».

## 12 - الوفاء للنسب والاعتزاز بالأسرة:

وإلى جانب إشارات حقوقية عديدة تضمّنتها خطبة الرسول ﷺ العصماء، تتعلّق بالديّة والقصاص، والوصيّة، وابن الزنا المختلف في تبنيّه، فإنّ قيمة أخلاقيّة عالية الأهميّة ثبتّها الرسول عليه الصلاة والسلام، ودعا إلى احترامها والتزامها، هي قيمة وفاء الابن لأبيه في الانتساب إليه، والاعتزاز به، وبأسرته وقبيلته، ووشائجه الدمويّة، ووفاء المولى لمواليه، وشدّد على من يخون هذه الأسرة ويتنكّر لهذه الروابط الأسريّة والروحيّة وهدّده بالطرد من رحمة الله، فقال عليه الصلاة والسلام: «ومن ادّعى لغير أبيه، أو تولّى غير مواليه، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين».

وبعد،

فإنّ الأُمّة الإسلاميّة اليوم - وهي تعيش أوضاعاً متأزّمة ارتطمت بها في مؤخّرة الأُمم، حيث فقدت الكثير من أرضها ومقدّساتها، وثرواتها وكرامتها - في أمس الحاجة إلى استحضار وصايا النبيّ الهادي عليه السلام ونُصّحه وإرشاده، التي ودّع بها الأُمّة في حجة وداعه، ومحاولة تفعيلها وإحيائها عساها تستدرك بعض ما خسرتّه وتستردّ بعض ما افتقدته من التحكّم في مصيرها، وتستعيد قدرتها على الأخذ بزمام المبادرة في كلّ القرارات المصيريّة التي تتعلّق بأرضها ومقدّساتها وثرواتها ومستقبلها ومكانتها بين الشعوب والأُمم.

والله الهادي إلى سواء السبيل، وصلى الله على سيّدنا محمد معلّم الناس الخير وخاتم النبيّين وسيّد الخلق أجمعين، وعلى آله الأبرار وأصحابه النجباء الأخيار ومن تبعهم بإحسان وخذل معاقل الكفر والزيغ والضلال إلى يوم الدين.

## المراجع

- 1 - فقه السيرة النبويّة - د. محمد سعيد البوطي. ط 11 - 1417 هـ / 1996 م - دار الفكر المعاصر، بيروت - لبنان + دار الفكر، دمشق - سورية.
- 2 - السيرة النبويّة في ضوء القرآن والسنة - د. محمد بن محمد أبو شهبه. ط 5 - 1419 هـ / 1999 م - دار القلم، دمشق - سورية + الدار الشاميّة، بيروت - لبنان.
- 3 - فقه السيرة - محمد الغزالي.
- 4 - حياة محمد - محمد حسين هيكل. مكتبة النهضة المصريّة - القاهرة - مصر. [ بدون رقم طبعة ولا تاريخ ]
- 5 - حجة الوداع وعمرات النبيّ - العلامة محمد زكريا الكندهلويّ. ط 2 - 1390 هـ / 1971 م ت مطبعة ندوة العلماء لكهنؤ - الهند.
- 6 - عبقرية محمد - عبّاس محمود العقاد. المكتبة العصريّة - بيروت، صيدا - لبنان. [ بدون رقم طبعة ولا تاريخ ]



## أورنغ زيب عالم غير : والفرصة التي أضاعها على الأمة لتحقيق التقدم العلمي

بقلم المفكر الهندي وحيد الدين خان - رحمه الله

ان أول اختراق ملحوظ لهذا التقليد على حد علمي حدث في عهد أورنغ زيب عالم غير (1618-1707) فأورنغ زيب وان كان قد ولد في أسرة ملكية ولكنه كان عالماً «بمعنى الكلمة وقد أراد أبوه شاه جهان أن يجعل ولاية العهد لأخيه داراشكوه وعلى هذا النحو كانت الظروف تقود أورنغ زيب في اتجاه يجعله يقوم بدور العالم بدلا من الملك ولكنه لم يرضى بذلك، فقام بعزل أبيه واعتقله في قلعة آغره سنة 1658م، وقتل أخاه داراشكوه في سنة 1659، وترجع بعده على رأس الامبرطورية المغولية لمدة نصف قرن تقريبا.

رغم الحرمان من «التاج» كان بإمكان أورنغ زيب الحصول على وسائل وامكانات هائلة لو رضي بالقيام بدور العالم بدلا من دور الملك، وكان يمكنه أن ينجز عملا جبارا يكون كالمنارة يستضيئ بها العلماء لعدة قرون من بعده فقد كان عصر أورنغ زيب العصر الذي تأسست فيه العلوم الحديثة في أوروبا وكانت آثارها قد امتدت الى سواحل الهند. غير أن أورنغ زيب كان غافلا عن هذا الواقع فأخلد بنفسه الى السياسة الوقتية. ان شاه جهان قد بنى في الهند «تاج محل» فكان بإمكان أورنغ زيب أن يبني فيها «علم محل» اي قصر العلم. كان بإمكان أورنغ زيب أن يترك الامبرطورية السياسية لأخيه داراشكوه ويتجه هو لاقامة قواعد امبرطورية العلم والمعرفة. ولو قام أورنغ زيب بهذا الأمر لأفاد الاسلام والمسلمين أكثر مما حاول افادتهم عن طريق السياسة

والحرب التي فشل فيها. ولو سافر أورنغ زيب الى أوروبا بدلا من الدكن لأدرك أنه يسير في غير اتجاه العصر. فهو يريد اعلاء كلمة الاسلام بواسطة السيف في حين أن العالم قد شهد بزوغ عصر سيؤدي أخيرا الى جعل سياسة العلم وسيلة لرفع الناس. ويبدو في الظاهر أن أورنغ زيب والعلماء الآخرين في عهده لم يكونوا فقط يجهلون ما كان يحدث في أوروبا من التقدم والرفي. بل انهم لا يعرفون حتى ذلك الرفي الذي حققه المسلمون في الأندلس (711 - 1492م).

فحين زالت سلطة المسلمين من الأندلس بدأ العلماء في مختلف فنون المعرفة يغادرون اسبانيا في الوقت الذي كانت الخلافة الاسلامية قائمة بكل قوتها في تركيا (1300-1924)، حيث أتى بعض العلماء المسلمين فارين الى تركيا، ولكنهم لم يلقوا أي تأييد أو تشجيع في بلاط الخليفة، والامبرطورية المغولية في الهند كانت قد قامت بعد سقوط الاندلس الا أن الحكام المغوليين لم يخطر ببالهم أن يستدعوا بعض العلماء المسلمين من اسبانيا ليستأنفوا نشاط التقدم العلمي الذي انقطعت أواصره في اسبانيا.

ان أعمال البحوث والتجارب العلمية لا يمكن أن تتم الا تحت رعاية الحكومة، ومن ثم حين لم يلقى العلماء تأييدا من قبل الحكام المسلمين بدأوا يفدون على أوروبا الغربية التي لاقوا فيها من الحكام الاستقبال والترحيب، ولهذا السبب فان العمل العلمي الذي بدأ في اسبانيا لم يكتمل في العالم الاسلامي وانما اكتمل في العالم الغربي.

ان أورنغ زيب بسبب غفلته واهتمامه الشديد بالسياسة لم يخطو أية خطوة في هذا الاتجاه أيضا. وأوروبا وحدها هي التي حظيت بفضل التقدم والرفي العلمي في المرحلة الاخيرة.

ان كافة الاسباب والمظاهر الاولية للعصر الحديث كانت قد نشأت في عهد أورنغ زيب. حيث اخترع الألمان النموذج البسيط للساعة النابضة (spring-driven) سنة 1500م، ونتيجة التقدم في مجال الجغرافية والبحار كان فاسكوديغاما قد تمكن من الوصول الى سواحل كلكتا سنة 1499م، وبذلك فتح الطريق البحري بين أوروبا وأسيا. في سنة 1510م سيطر البرتغاليون على جاوا، وأنشأت بريطانيا شركة الهند الشرقية سنة 1600م، كما أنشأت فرنسا شركة الهند الشرقية سنة 1664م، غير أن

أورنغ زيب بسبب ميوله السياسية ظل غافلا عن هذه الوقائع في حين أن هذه الأحداث كانت تشير الى أن المسألة التي سيتعرض لها الاسلام ستكون من حيث نوعيتها خارجية وليست داخلية.

وقبل وقت طويل من ميلاد أورنغ زيب أكتشفت الطريقة البدائية للطباعة وذلك في أواخر القرن الثاني الميلادي الا أنها ظلت تتطور شيئا فشيئا حتى تم اختراع مطبعة دتش المشهورة في أمستردام سنة 1620م، وكانت أدوات المطبعة في البداية من الأخشاب، ثم جمع بين الحديد والخشب حتى ظهرت مطبعة جميع أدواتها من الحديد سنة 1795م.

ويفتخر أورنغ زيب بأنه كان يكتب القرآن بيده، ولكنه كان يجهل أن أول نسخة مطبوعة للكتاب المقدس قد نشرها قبله غوتن برنج (gutenberg) فأدخل بذلك عملية التبشير المسيحي من مرحلة الكتابة اليدوية الى عصر الكتابة الآلية. ولو أدرك أورنغ زيب هذه الحقيقة لكان عليه أيضا أن يقيم صناعة الطباعة في بلاده بدلا من كتابة القرآن باليد.

في سنة 1571م أنشئت جامعة كمبريدج في انجلترا وقبلها أنشئت جامعتا بيرس وأكسفورد في القرن الثاني عشر، وكان أهم عمل على أورنغ زيب في القرن السابع عشر الميلادي أن يقوم به هو انشاء جامعة في الهند لجميع العلوم. وكذلك كان عليه أن يقيم مراكز للبحوث والدراسات في الشؤون العصرية. وكان بإمكانه أن يفتح من جديد في دلهي «بيت الحكمة» ويترجم العلوم الأوروبية، كان عليه أن يقيم أكاديمية للعلماء ليقوموا بتحصيل العلوم المعاصرة ويجروا أبحاثا فيها. لكنه لم يفعل شيئا من هذا القبيل، والسبب في ذلك بسيط جدا الا وهو عدم رضاه بتقسيم دائرة العمل.



## مقاصد أركان الإسلام

بقلم : الأستاذ حامد المهيري

من نعم الله تعالى على عباده التي يفوزون بها إن اهتدوا إليها وفهموا مقاصدها نتائج أداء ما فرض عليهم، فقد فرض الله تعالى الصلاة لتحرك، ونعمل، ولنخلص في كل ما نقوم به لنفوز بالاستقامة، وسلامة السلوك؛ وفرض علينا الزكاة لتدوم المحبة والتعاون على البر بين الغني والفقير، ويزول الحسد، والحق، والضغينة؛ وفرض علينا الصوم لنشعر بالفرق بين الجائع والعطشان. والشبعان والظمآن؛ ويكون ذلك بداية العلاج الطبي قبل مباشرة المعالجة؛ وفرض علينا الحج لتذكّر المساواة بين البشر يوم الحشر والحساب؛ وأن أول ركن هو في المرتبة الأولى، ويتكرر في بقية الأركان هو الشهادتان: (أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله) حتى لا نركع ونسجد لغير الله خالقنا. لأن الجميع مخلوقون، والخالق هو رب العرش العظيم؛ وهو الذي يسر لنا كل عسير. قال الله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ (البقرة آية: 185).

وفي الحديث النبوي: «إياكم والتعمق في الدين فإن الله تعالى قد جعله سهلاً فخذوا منه ما تطيقون فإن الله يحب ما دام من عمل صالح إن كان يسيراً» (رواه أبو القاسم بن بشران في أماليه عن عمر. وفي حديث آخر ينهى عن الغلو في الدين «إياكم والغلو في الدين فإنما هلك من قبلكم بالغلو في الدين» (رواه الإمام أحمد، والنسائي، وابن ماجه، والحاكم عن ابن عباس. وهذا ما نجده في القرآن الكريم في قول الله تعالى: ﴿لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ (المائدة آية: 77).



وعلى هذا الأساس نجد بعض الشعراء يذكرون بمنافع هذه الأركان وضرورة التمسك بالقيام بها فهذا شاعر يرشد لعبادة الله تعالى لا لغيره بقوله:

اجعل من الناس إخواناً وخلاناً \* واربأ نفسك أن تغتاب إنساناً  
مالنا نعبد العباد إذا كا \* ن إلى الله فقرنا وغنانا  
وأضاف شاعر آخر قائلاً أن الشكوى لله الرحيم

لا تشكون إلى العباد فإنما \* تشكو الرحيم إلى الذي لا يرحم  
وقال آخر داعياً للاستعصام بالله :  
وبالله فاستعصم ولا ترج غيرهُ \* ولا تك في النعماء عنه بجاحدٍ  
ونصح آخر لا تسأل سوى الله بقوله :

ولا تسأل سوى الله \* تعالى قاسم الرزق  
وقال الإمام الشافعي :

لا تسألن بني آدم حاجة \* وسل الذي ابوابه لا تحجب  
الله يغضب إن تركت سؤاله \* وبني آدم حين يسأل يغضب  
وقال أحمد الصافي النجفي :

الدين عند الجاهلين بلاء \* وغلاظة وتعصب ورياء  
والدين عند العارفين تكامل \* ولطافة وسماحة وإخاء

قال سماحة الشيخ محمد المهيري في إحدى خطبه المنبرية : «قلب المؤمن هو وطن الإسلام هو محل إقامة على الدوام، فيلزم أن تتحد القلوب على نصرة هذا الدين، وأن يكون في كل قلب مؤمن رافة ورحمة لأخيه المسلم، يفرح لأفراحه ويحزن لحزنه وأتراحه، يعينه عند الشدائد، ويحميه من المكائد وإعانة كل واحد بما في وسعه وطاقته ولو أن تفرغ من دلوك في دلو أخيك لقضاء حاجته، فلا تغتر بدار الغرور واذكر يوم تنقل إلى القبور، يوم يتركك الأهل والإخوان وحيداً فريداً. ولا ينفعك ولد لا تؤدبه بأدب الإسلام». (انظر مجلة الهداية ع 6. س 12. ذو القعدة وذو الحجة 1405 هـ/ جويلية وأوت وسبتمبر 1985) مقالتي: «قلب المؤمن ووطن الإسلام» وقال رحمه الله عن فوائد

القرآن: «نبه العقول وأمرها بالنظر والتفكر في هذا الكون وما يظهر فيه من عجائب ظهوراً مترقياً مع الأيام حسب ترقية العقول والأفهام، وأقام الأدلة القاطعة بحكم العقل، وما تتولد فيه من حوادث الأيام، التي جعلها دليلاً على وحدانيته وقدرته تعالى» وقال أيضاً رحمه الله «إذا كنت خيراً عفيفاً، قاهراً لنفسك من شهوات السوء فأنت الإنسان الكامل العامل بما جاء به القرآن» وقال متوجّهاً للشباب رحمه الله: «إذا لبس الشبان والشابات لباس العفة، والأدب، والأخلاق العالية، وحفظ اللسان، فقد ساقبوا الأمم الراقية وسعدوا وسعدت ذريتهم لأنهم قدوة يقتدون بهم في هذا الشأن».

إذ المؤمن الصادق الإيمان من يؤمن بقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ (آل عمران آية: 19) وبقوله عز وجل: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (آل عمران آية: 85).

والإسلام شرعاً: هو توحيد الله، والانقياد، والخضوع، وإخلاص الضمير، والإيمان بالأصول الدينية التي جاءت من عند الله وسبق ذكرها في بداية مقالتي واضحة، ولا ننسى أن الله تعالى جعل الأمة المحمدية أمة وسطاً والوسطية عقد بين الدين والعلم. ففي تنزيل العزيز الحكيم ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ (البقرة آية 143) قال الزجاج: فيه قولان: قال بعضهم (وسطاً عدلاً) وقال بعضهم (خياراً) واللفظان مختلفان والمعنى واحد لأن العدل خير. والخير عدل. وقيل في صفة النبي صلى الله عليه وسلم: إنه كان من أوسط قومه، أي خيارهم.. (انظر كتب التفسير). وقال ابن الأثير «كل خصلة محمودة فلها طرفان مذمومان فإن السخاء وسط بين البخل والتبذير، والشجاعة وسط بين الجبن والتهور. والإنسان مأمور أن يتجنب كل وصف مذموم. وتجنبه بالتعري منه والبعد عنه، فكلما ازداد منه بعدا ازداد منه تقرباً وأبعد الجهات والمقادير والمعاني من كل طرفين وسطهما وهو غاية البعد منها فإذا كان في الوسط فقد بعد عن الأطراف المذمومة بقدر الإمكان. وقد سميت الصلاة الوسطى لأنها أفضل الصلوات وأعظمها أجراً ولذلك خصت بالمحافظة عليها، وقيل لأنها وسط بين صلاتي الليل وصلاتي النهار، ولذلك وقع الخلاف فيها ف قيل: العصر؛ وقيل: الصبح، وقيل بخلاف ذلك. قال أبو الحسن: «والصلاة الوسطى يعني صلاة الجمعة لأنها أفضل الصلوات، قال: ومن قال خلاف هذا فقد أخطأ برواية مسندة إلى النبي صلى الله عليه وسلم (انظر لسان العرب لابن منظور). ألم يؤكد الله تعالى ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ (آل عمران آية: 110) إنها الأمة الوسط قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «خيار الأمور أوسطها» تلك هي مقاصد أركان الإسلام.



## في رياض السنة

### الحديث السابع عشر وجوب الإحسان في كل شيء

بقلم: الأستاذ محمد صلاح الدين المستاوي

عن أبي يعلى شداد بن أوس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال: إن الله كتب الإحسان على كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته.

رواه مسلم

راوي هذا الحديث هو الصحابي أبو يعلى شداد بن أوس وهو ابن أخي حسان بن ثابت، وهو من الأنصار، كان رضي الله عنه ممن عرف بخشية الله وخوفه وقد عبرت عن هذه الدرجة العالية من التقوى أقواله وأدعيته فقد كان إذا دخل فراشه لينام يتفكر فيذهب عنه النوم فيتوجه إلى ربه بالدعاء والضرعة «اللهم إن النار قد أسهرتني وأذهبت عني النوم» فيقوم ويصلي حتى الصباح ويقول (إنكم لم تروا من الخير إلا أسبابه ولم تروا من الشر إلا أسبابه الخير كله بحذافيره في الجنة والشر كله بحذافيره في النار وإن الدنيا عرض حاضر يأكل منها البار والفاجر والآخرة وعد صادق يحكم فيها ملك قادر ولكل بنون فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا).

\* قال فيه أبو الدرداء «إن لكل أمة فقيها وأن فقيه هذه الأمة شدادا بن أوس وأن من الناس من يؤتى علما ولا يؤتى حلما وإن أبا يعلى قد أوتي علما وحلما».

\* روي عن أبي يعلى شدادا انه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (إذا كنز الناس الذهب والفضة فأكنزوا هؤلاء الكلمات : اللهم إني أسألك الثبات في الأمر والعزيمة على الرشد وأسألك شكر نعمتك وحسن عبادتك وأسألك من خير ما تعلم وأعوذ بك من شر ما تعلم انك أنت علام الغيوب).

توفي أبو يعلى شدادا بن أوس سنة إحدى وأربعين أو أربع وأربعين للهجرة وهو ابن خمس وسبعين.

وهذا الحديث «إن الله كتب الإحسان على كل شيء» حديث جامع وهو معبر على ما تميز به دين الإسلام وما اشتملت عليه مبادئه السمحة من إحسان.

والإحسان هو الإتيان بالشيء على الوجه الحسن بحيث يبدو في فعل ذلك المحسن الإتقان والكمال والجمال وتغيب كليا عن ذلك الفعل النقائص التي لا تليق وتتعارض مع ما يرشد إليه الشرع ويهدي إليه العقل السليم والتفكير القويم.

(إن الله كتب الإحسان على كل شيء) أي فرض وأوجب الإتيان بما يصل بالعمل إلى درجة الإحسان فكل ما يأتيه المسلم من تصرفات وكل ما يتحمله من مسؤوليات ينبغي أن يكون الغالب عليها هو الإحسان وهو ضد الإساءة والتقصير.

فالمسلم مكلف ومأمور ومدعو بأن يكون الإحسان منهجه ومسلكه في كل معاملاته مع كل من يحيط به ومع كل ما يتصرف فيه.

ومن الإحسان أن يكون المسلم سالما وآمنا على غيره فقد ورد في الحديث الشريف (المسلم من سلم الناس من لسانه ويده) ويد المسلم بيضاء رفيقة لينة لا تظلم ولا تعتدي، لا تهشم ولا تهدم ولا تقتل ولا تسفك دما إلا أن يكون جهادا في ساحة القتال لإعلاء كلمة الله.

حتى مشي المسلم على الأرض فانه لا يمكن أن يكون مشي الجبارين الغلاظ الشداد بل مشي عباد الرحمان (وعباد الرحمان الذين يمشون على الأرض هونا).

إن المسلم رفيق رقيق رحيم هين لين وقد ورد في الحديث الشريف (إن الرفق ما كان في شيء إلا زانه وما نزع من شيء إلا شانه).

وللشيخ الشبرخيتي في بيان أوجه الإحسان ومختلف مجالاته كلام نفيس نوره للقراء حيث قال عند شرحه لهذا الحديث «وقوله على كل شيء قضية كلية شاملة لجميع جزئيات الدين فالإحسان إلى نفسه أن لا يوردها موارد السوء ولا يظلمها بمعصية ولا يطيعها في كل ما تريد ولا يهنها بشقاء ولذلك اللهم الله سبحانه وتعالى مخلوقاته بالاستغفار للعلماء فإن لهم بمثل فعلهم لقوله عليه السلام (إن العالم ليستغفر له من في السماوات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء) وما في التنزيل (والملائكة يسبحون بحمد ربهم) وإلى أهله أن يحسن عشرتهم ولا يكلفهم ما لا يطيقون ولا يضيعهم قال صلى الله عليه وسلم (كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يعول) وإلى خدمه بأن لا يكلفهم من العمل ما لا يطيقون ولا يضيعهم وإلى إخوانه أن لا يغشهم بل ينصح لهم ويحسن صحبتهم وبحمل أذاهم ويكرم مثواهم وإلى الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أن يؤمن بهم وبما جاؤوا به عن ربهم وان يعتقد كمالهم وعصمتهم من الكبائر والصغائر وانهم صفوة الله وخلص عباده وإلى سائر الناس أن يعلمهم ما ينفعهم في معاشهم ومعادهم وإرشادهم سبل الخيرات واجتناب المنكرات والدعاء لهداتهم بالتوفيق ولكفارهم بالهداية وإلى الملائكة ان يؤمن بهم وانهم عباد مكرمون لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون وان يحسن عشرة الحفظة منهم بأن لا يفعل بحضرتهم ما يكرهون وإلى الجن إن اتفق ظهورهم بأن يدعوهم إلى الخير وترك الشر وإلى شياطينهم بالدعاء لهم ككفار الانس بالإسلام. وإلى الحيوان بأن لا يجيبه وان لا يعطشه ولا يضربه بغير موجب ولا يكلفه من العمل ما لا يطيقه ولا يستمر راكبا على الدابة وهي واقفة إلا لحاجة».

هذا كلام نفيس محيط بمجالات الإحسان التي كتبها الله على عباده في كل شيء وفي كل شأن من شؤونهم فالإسلام هو دين الإحسان في كل شيء. ففي تعاليم الإسلام السمحة توفيق إلى الأفضل والأرقى من التصرفات والأفعال.

وقد قيل إن سبب ورود هذا الحديث «والعبرة بعموم اللفظ» أن الإسلام وجد أهل الجاهلية يمثلون في القتل بجذع الأنف وقطع اليد والرجل وبقر البطن وشق الكبد وكانوا يذبحون بالمدى الكالة والعظم والقصب مما يعذب الحيوان فهى الإسلام عن هذه البشاعة والفظاعة والغلظة وجعل محلها الإحسان في القتل وفي الذبح (فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة).

والقتل هنا قتل القصاص (ولكم في القصاص حياة) أي قتل القاتل وقد نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن القتل بالنار لما فيه من تعذيب فقال عليه الصلاة والسلام «لا يعذب بالنار إلا رب النار».

وهذا الهدي (إذا قتلتم فأحسنوا القتلة) يبين عظمة وإنسانية وسماحة ورحمة تعاليم الإسلام التي جاء بها من عند الله سيد الأنام نبي الرحمة وهادي الأمة عليه الصلاة والسلام الذي قال فيه ربه (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) فدينه دين الرحمة وهديه هدي الرحمة.

إن الإسلام لا يمكن أن يوصف أو يوصم بالبشاعة والوحشية والغلظة والشدة فهذه تعاليمه واضحة جليلة وتلك سيرة نبيه عليه الصلاة والسلام تنطق بأنه دين الرحمة والإحسان ودين الإنسانية الحقيقية. إن تعاليم الإسلام المتمثلة في آيات الكتاب العزيز وأحاديث الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام هي خير حجة وبرهان على هذه الخاصية وهي خير رد على ما يمكن أن يلصق بالإسلام ظلماً وبهتاناً وزوراً وكذباً من شبهات وترهات لا يمكن أن تنطلي إلا على ضعاف العقول أو الذين أعمت الأحقاد والضغائن أبصارهم وبصائرهم.

إن الإحسان والرحمة والرفق في تعاليم الإسلام تتجاوز الإنسان إلى كل الكائنات: حيوانات ونباتات وجمادات إلى كل ما خلق الله وبث في هذا الكون.

لقد سبقت تعاليم الإسلام جمعيات ومنظمات الرفق بالحيوان فيها هو ذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (في كل ذي كبد رطبة أجرٌ) وقد أخبر عليه الصلاة والسلام أن هناك فيمن سبقنا من الأمم من دخل الجنة من أجل كلب وجده يلهث من شدة العطش يمتص الثرى فنزل إلى البئر وأخرج له منه ماء سقاه به فنظر الله في عليائه إلى رحمة هذا العبد بالكلب فجازاه عن صنيعه بأن أدخله الجنة كما أخبر عليه الصلاة والسلام أن هناك فيمن سبقنا من الأمم من دخل النار من أجل هرة حبسها فلا هو أطعمها ولا أطلقها تأكل من خشاش الأرض.

ويمضي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيدخل في الدقائق والتفاصيل (فإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته)

فلا بد أن تكون الشفرة التي تذبح بها الذبيحة حادة وفي ذلك رفق بالحيوان الذي يراد ذبحه ذلك أنه إذا لم تكن الشفرة حادة فإن الذبح لا يكون سريعاً وعاجلاً وفي

ذلك عذاب وتعذيب للذبيحة وهو ما تأباه تعاليم الإسلام. روى الطبراني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر برجل واضع رجله على صفحة شاة وهو يحد شفرته وهي تلحظ إليه ببصرها قال «أفلا قبل هذا تريد أن تميتها موتتين هلا أحددت شفرتك قبل أن تضجعها» وقد ضرب عمر بن الخطاب بدرفته رجلا وجده يحد شفرته وقد أخذ شاة ليذبحها وقال : «أتعذب الروح الا فعلت هذا قبل أن تأخذها».

وروى ابن ماجة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر برجل وهو يجر شاة بأذنها فقال «دع أذنها وخذ بسالفتها» وهو مقدم العنق».

وقد قال العلماء أنه يكره ذبح الشاة وأخرى تنظر إليها «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (فليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته) وادخال الراحة على الذبيحة يشمل كل ما يجعل الذبيحة في وضع مريح وطبيعي كأن يسقيها قبل الذبح ويضعها في موضع مريح غير وعروان يعجل بامرار السكين بقوة وفي ذلك سرعة موتها الذي فيه راحة لها.

إن هذا الحديث (إن الله كتب الإحسان على كل شيء) احد قواعد الإسلام وكلياته المبينة لخاصية بارزة هي هامة جدا تبدو جلية في كل تعاليمه وما دعا إليه المسلمون. إن هذا الحديث انطلق من العام (إن الله كتب الإحسان على كل شيء) ثم دخل في التفصيل والتبيين وهو المجال العملي من سلوك المسلم في كل مناحي الحياة التي منها القتل الذي حدد الإسلام حالته «القاتل عمدا يقتل» وهذا القتل لا يمكن أن يكون إلا بتطابق كامل مع خصائص تعاليم الإسلام الداعية إلى الرحمة والرفق واللين والتي لا مجال فيها للغلظة والشدّة والوحشية والشراسة فكل ذلك حرام في دين الإسلام الذي يزيل من قلب المسلم كل ضغينة وحقد وكرهية. وحتى الذبح والذكاة الشرعية التي لها أحكامها المفصلة في كتب الفقه والتي بدونها لا تؤكل لحوم الحيوانات البرية فإن هذه الذكاة لا بد أن تكون متصفة بالإحسان ويرشد الرسول صلى الله عليه وسلم إلى ما ينبغي على الذابح أن يفعله «فليحد شفرته وليرح ذبيحته» صلى الله عليه وسلم رسول الله ما أشد رأفتك ورفقك ولينك ورحمتك وسماحتك وما أعظم وما أنبل تعاليم دينك الحنيف فهي مبنية كلها على الإحسان ليس فقط مع الإنسان بل مع الحيوان وحتى النبات (لا تحرقوا الأشجار لا تقتلوا الحيوان) .

إن عقلية التحطيم والتخريب والتدمير والتعذيب والتنكيل مرفوضة في دين الإسلام تأبأها تعاليمه السمحة وهذا الحديث (إن الله كتب الإحسان على كل شيء) عنوان لسماحة الإسلام وإنسانية تعاليم الإسلام التي ظل المسلمون أوفياء لها عبر تاريخهم الطويل وفي كل ديارهم وفي كل حالاتهم «في الشدة وفي الرخاء وفي الحرب والسلام» وصدق الشاعر

ملكنا فكان العدل مناسجية \* فلما ملكتم سال بالدم أبطح

إن المنصفين من المؤرخين ومنهم (السيد توماس أرنولد) وغيره شهدوا للمسلمين بالسماحة والرفق والرحمة والإنسانية في تعاملهم مع الشعوب التي عرضوا عليها دين الإسلام والبلدان التي فتحوها لم يقتلوا الأبرياء ولم يخربوا البنيان ولم يحرقوا الأشجار ولم يقتلوا الحيوان. فهدي الإسلام يأبى عليهم ذلك ويحرمه عليهم. ولا نريد أن نقارن بينهم وبين غيرهم من الأمم والشعوب ولكن الذي ينبغي التواصي به بين المسلمين هو الحرص الدائم على البقاء أوفياء لتعاليم الإسلام وهدي سيد الأنام عليه الصلاة والسلام مهما جار الآخرون ومهما ارتكبوا من الشناعات والممارسات التي لا يتصور صدورها عن إنسان فخط المسلمين هو هو لا يتغير ولا يتبدل خط الرحمة والرفق والسماحة والإحسان.

قال الشيخ الحبيب المستاوي رحمه الله

الاسلام يجلب للمسلمين خيري الدنيا والآخرة

الإسلام وحده هو الذي حقق المعجزة في الجمع بين المتناقضات وجعلها تعمل جنباً إلى جنب لخير الإنسان في الدنيا والآخرة وجمعه بين العمل والعبادة هو خير مثال (لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد) .





## التعريف الفصيح لكتاب: مشكاة المصابيح للمحدث محمد الخطيب التبريزي (توفي سنة 742 هـ)

بقلم: الباحث والكاتب صالح العود (فرنسا)

سبق لي -والحمد لله- أن قرأتُ هذا المرجع النفيس من كُتُب الحديث الشريف، ودواوين السنّة المشرفة، وأنا طالب بإحدى المعاهد الشرعية بمدينة (كراتشي)، وفي عمري آنذاك (واحد وعشرون عاماً)، أي في سنة (1395 هـ = 1975 م)، على شيخين اثنين، نصفه الأول: من كتاب (الإيمان) حتى باب (المساقاة والمزارعة)، على الشيخ مصباح الله شاه؛ أما نصفه الثاني: فمن كتاب (النكاح) حتى آخره: باب (مناقب أزواج النبي عليه الصلاة والسلام)، على الشيخ محمد بديع الزمان (ناظر التعليم).. وهذا الكتاب الجليل يقع في (628 صفحة) من القطع الكبير الغير المتعارف عليه، بمعنى 35,5x27 وطُبِعَ على ورق أحمر، لا أبيض ولا أصفر، بمطابع نور محمد - كَارْخَانَه تِجَارَت كِتَب / آرام باغ فريز رُود. كراجي سنة 1368 هـ. وقد جاءت هذه الطبعة مشتملة - تحديداً - على ما يلي:

1. مقدّمة في بيان بعض مصطلحات علم الحديث / للشيخ المحدث عبد الحق الدهلوي (ص 3-7).

2. فهرس المضامين الواقعة في مشكاة المصابيح (ص 8-9).

3. مقدّمة المؤلف (ص 10).

4. بداية (مشكاة المصابيح) من كتاب الإيمان (ص 11).
5. كتاب: الإكمال في أسماء الرجال / للمؤلف صاحب المشكاة (ص 585)
6. وُشِّحَتْ الأحاديث عن اليمين والشمال بـ «حاشية» ظريفة، لمعاني ألفاظ كل حديث، مع فوائد أخرى جليلة : علمية جميلة.

### التعريف بالكتاب ومؤلفه:

أصل الكتاب وعنوانه هو: (مصابيحُ السُّنَّة) للمُحدِّثِ الحُسَيْنِ بنِ مَسْعُودِ الفَرَّاءِ البَغَوِيِّ (ت 526 هـ). كان إمامًا في الفقه والحديث، له تصانيف جليلة ومُهَمَّةٌ، مثل: (معالم التنزيل) في التفسير؛ و(التهذيب) في الفقه على مذهب الشافعي؛ وهذا الكتاب في الحديث، وقد اشتملت أحاديثه على (4434).

وصَفَه الإمام محمد الخطيب التبريزي بقوله: «كتاب المصابيح الذي صنَّفه الإمامُ مُحْيِي السُّنَّة وقامعُ البدعة أبو محمد الحَسَن بن مسعود الفَرَّاء البَغَوِيُّ، رفع الله درجته، أَجْمَعَ كتابُ صُنِّفَ في بابِه، وَأَصْبَطُ لِشَوَارِدِ الأحاديثِ وأَوْبِدْها». اهـ.

ثم جاء بعده وليّ الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب العُمَرِيُّ التبريزي (ت 742 هـ)، وأخذ (مصابيحَ البَغَوِيِّ) وزاد على ما وقع فيها من أحاديث بِمَعْدَل (1511 حديث)، فأصبح المجموع الكُلِّيُّ (5945) حديث، وكان إكمالُه في آخر يوم الجمعة المبارك من شهر رمضان المعظَّم عِنْدَ رُؤْيَيْهِ هلالَ شهر شَوَّال سنة (737 هـ).

قال رحمه الله مُبَيِّنًا عَمَلَه، وموضِّحًا مَسْلَكَه في (المُقَدِّمة) / ص 10، ما نصُّه: «ولَمَّا سَلَكَ رضي الله عنه طريق الاختصار، وحذَفَ الأسانيد، تكلَّم فيه بعضُ النُّقَّادِ وإن كان نَقَلَه وأنه من الثِّقات كالإِسناد، ولكن ليس ما فيه أعلام كالإغفال، فاستخرْتُ اللهَ واستوفَّقتُ منه، فأعلَمتُ ما أغفلَه، فأودَعْتُ كُلَّ حديثٍ منه في مقرِّه، كما رواه الأئمةُ المُتَقِنون، والثِّقاتُ الرَّاسخون... وإنِّي إذا نسبْتُ الحديثَ إِلَيْهِمْ، كَأَنِّي أَسَنَدْتُهُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَأَنَّهُمْ قَدْ فَرَّغُوا مِنْهُ، وَأَغْنَوْنَا عَنْهُ؛ وَسَرَدْتُ الكُتُبَ والأبوابَ كما سرَدَها، واقتفيتُ أثرَه فيها، وقَسَمْتُ كُلَّ بابٍ غالبًا على فُصول ثلاثة: (أولُها): ما أخرجَهُ الشَّيْخَانِ أو أحدهما، واكتفيتُ بهما وإن اشترك فيهِ الغيرُ لِعُلُوِّ درجتِهِما في الرواية. و(ثانيها): ما أوردَهُ غَيْرُهُما من الأئمةِ المذكورين. و(ثالثُها): ما اشتمَلَ على مَعْنَى الباب من مُلَحَقَاتٍ مُناسِبَةٍ مع محافظةِ

على الشريطة، وإن كان مأثورًا عن السلف والخلف... وسميت الكتاب بِـ (مشكاة المصابيح)... اهـ

اعتنى علماء الإسلام - وخاصة المحدثون - بهذا الكتاب الجليل: تدريسًا، وشرحًا وتعليقًا، وطباعةً عبر العصور؛ فالمؤلف من علماء القرن (الثامن) الهجري؛ وبعد فراغ المؤلف من تأليفه ليلة العيد، عرضه «تُحفَةً» للعيد هديةً إلى شيخه، فاستحسنه، واستجاده؛ ثم بدأ الخطيب يدرسه ويفيد به. روى عنه تلميذه: علي بن مبارك شاه الصديقي: «أن روايته المتصلة بالإسناد المتصل إلى المؤلف، هي السلسلة الوحيدة، التي اشتهرت في أنحاء العالم الإسلامي وعمت». وأول شروحه - فيما قرأت - هو شرح شيخه العلامة المحدث: شرف الدين حسين بن محمد الطيبي (13 شعبان سنة 743 هـ) رحمه الله، وسماه: (الكاشف عن حقائق السنن). ثم توالى الشروح عليه، وأعظم تلك الشروح التي وقفت عليها وطالعتها

- وأنا طالب للعلوم الشرعية - كتاب: (مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح) للفقهاء المحدث علي بن سلطان محمد القاري (ت 1014 هـ)، طبعته المكتبة الإمدادية بمدينة ملتان في باكستان للمرة الأولى سنة (1392 هـ = 1972 م) في (أحد عشر مجلدًا) مذهبًا. وقد قدم لهذه الطبعة الجديدة والنفيسة: العلامة الشيخ محمد عبد الحليم بن عبد الرحيم الحشيتي بمقدمة طويلة جدًا، اشتملت على (91 ص)؛ وسمّاها هكذا: (البضاعة المزجاة لمن يطالع المِرْقاة في شرح المشكاة).

وأنا الفقير إلى العليّ القدير، ملكْتُ (شراءً) نُسخةً من هذا الكتاب في طبعته الأولى، حين نزلت بمدينة كراتشي، في شهر ذي القعدة سنة (1394 هـ) الموافق لشهر نوفمبر سنة (1974 م)، أي منذ ثماني وأربعين سنة مضت إلى اليوم. والحمد لله رب العالمين، الذي بنعمته تتم الصالحات.. وكفى بطلب العلم والسياسة فيه من نعمة.



## التوكل الشرعي مشروط بإقامة الأسباب

بقلم: فضيلة الشيخ الدكتور أحمد الطيب شيخ الأزهر

موضوع التوكل، مرتبط بالظروف التي يمر بها العالم الآن جراء فيروس كورونا، وهو أن الكثير من الناس يظنون أنهم يتوكلون على الله ولا يلتزمون بالتدابير العلمية والطبية والإدارية التي تفرضها الجهات المسؤولة عن حماية الناس ووقاية الشعوب من هذا المرض.

إن معنى التوكل في الشريعة الإسلامية هو تفويض العبد أمره إلى الله سبحانه وتعالى، لكنه مشروط باتخاذ الأسباب التي أمر بها الشرع، بمعنى أن التوكل إذا حدث وفوض العبد أمره إلى الله مع قيامه بالأسباب فهذا هو التوكل الشرعي، لكن إذا توكل على الله دون أخذه بالأسباب فهذا التوكل لا يطلق عليه وصف أنه توكل شرعي بل هو مخالف ويرضي هوى النفس، ونزعاتها الشيطانية.

إن التوكل المشروط بإقامة الأسباب، يستلزم إنابة النفس أو تسليم القلب لله وتفويض الأمر مع سكون النفس إلى تصاريق الأقدار، والله سبحانه وتعالى الذي أمر بالتوكل هو الذي أقام الكون على قانون الأسباب والمسببات، فالذي أمرنا باتخاذ الأسباب ثم أمرنا بالتوكل ثم أقام نظام الكون على نظام السبب والمسبب لا يمكن أن يتقبل التوكل الذي يضاد الأمر باتخاذ الأسباب وقانون الطبيعة.

إن قانون السببية يمس قضية التوكل والأسباب مسًا مباشرًا، اننا من خلال مشاهدتنا الطبيعية والحسية لا يمكن أن يكون هناك شيء من لا شيء، وعلى سبيل المثال ان النار حال اشتعالها في شيء فلا بد أن تحرقه، ويكون إشعال النار هو «سبب» والإحراق هو «مسبب» وهذه المصطلحات تناولها الفلاسفة، وخاصة الإمام الغزالي والأشاعرة كلهم عن آخرهم، ولهم أنظار عميقة في مبدأ التوكل على الله ومسألة الاعتماد على الأسباب.

إن المؤمن يؤمن بالسبب والمسبب باعتباره مأمورًا به شرعًا يفعلُه هكذا، ولكن لا يعتقد أن السبب مؤثر بذاته في المسبب وإنما الذي يحدث أثر السبب في المسبب هو الله سبحانه وتعالى، وأن القدرة الإلهية هي التي تجعل النار تحرق أو تجعل النار لا تحرق كما رأينا في معجزة سيدنا إبراهيم أو في باقي المعجزات التي تعد خروجًا على نظام الطبيعة وعلى نظام السببية في الكون، والذين لا يؤمنون بالله من أصحاب الفلسفة الإلحادية، يقولون إن الربط بين السبب والمسبب ربط عقلي ولا يمكن أن يتخلف أبدًا.

وعدم الأخذ بالأسباب يخالف القرآن الكريم والسنة النبوية والإسلام يهتم بالعمل وبقيمته ولا يربطه أبدًا بالنتائج والذين يزعمون أنهم يتوكلون على الله ولا يعينهم أن يطبقوا أو يأخذوا بالأسباب إنما يخالفون القرآن الكريم والسنة النبوية مخالفة صريحة، يقولون أننا نتوكل على الله وهذا يكفي، وبالتالي لا يهمنا أن نخرج أو أن نذهب إلى التجمعات فكل ذلك بيد الله وأن كورونا هذه أمرٌ لو شاء الله سيكون، إن هؤلاء في الحقيقة يخالفون القرآن الكريم والسنة النبوية، ويعرضون حياتهم وحياة الآخرين للخطر. والإسلام يهتم بالعمل وبقيمته ولا يربطه أبدًا بالنتائج وبما سياتر عليه من آثار، إنما مجرد العمل هذا هو المطلوب ولكن مع التوكل على الله سبحانه وتعالى، والأسباب والمسببات مأمور بها شرعًا وعلينا ألا نعتقد أن الأسباب تفعل بذاتها المسببات، لأن الله سبحانه وتعالى هو المتفرد بالتأثير في الكون، ولا يقع تأثير شيء في شيء إلا بإذنه - سبحانه وتعالى - وبقدرته، لأن قدرته شاملة وعامة وتشمل الجميع.



## متى نرى علماء المسلمين وحكامهم في مستوى مسؤولياتهم ؟

بقلم فضيلة الشيخ الحبيب المستاوى - رحمه الله

يختلف إدراك الناس للواجب وتقديرهم له وتحمسهم لأدائه اختلافا كبيرا، فهم وان اجمعوا على الاعتراف به والتسليم بحتميته لا يجمعون أبدا على كيفية الأداء ولا على فوريته، ولا يخفى ما في الفورية والكيفية من آثار وثمار. ومن جراء هذا التباين الملحوظ نشأت الفوارق بين المجتمعات والأشخاص في مقدار الوعي الذي نلمسه بصورة جلية في التمسك بأوثق أسباب الحياة وأقومها إذ كلنا يحبها ويطمح إلى نيل أسنانها وأعلاها ويجد نفسه مضطرا للتمسك بها والعمل من اجلها لكن هناك فرق كبير بين من يحب الشيء وبين من يحققه فالحب شيء والانجاز شيء آخر، والوصف شيء والعمل شيء آخر والإيمان بالخير لا يصل إلى درجة التحمس له إلا بالتفاني في سبيله وكل هذه المنازل والمراتب ليست أمورا فرضية ولا نظرية ولا خيالية بل هي منازل ومراتب لم تعرف إلا بعد معرفة النازلين بها والمتقاطرين في مراتبها لأنهم في احتلالهم منذ الكينونة الأولى للإنسان يشبهون أبراجا ومنازل سماوية لا تعرف ولا تقدر إلا بكواكبها ومجراتها. ونحن في تقييم أشخاصنا ومجتمعاتنا الكبيرة والصغيرة مضطرين للخضوع إلى هذه المقاييس والحقائق التي فرضت وجودها مع نوايس الحياة البشرية التي هي أشرطة متعاقبة على مسرح الحياة لا تختلف فيها إلا المسميات أما الأهداف والمعاني فواحدة مكرورة ومحترمة رغم احتياجها إلى شيء من الترجمة والنقل والتعبير ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾.

إن أشياء كثيرة تصبح مع الأحداث والأيام كمسلمات بديهية يتساوى في إدراكها الكبير والصغير والعالم والجاهل، بيد أنها إذا تركت وشانها وأوكل أمرها إلى المؤمنين بها كثيرا ما تهمل وتنسى ويتمالى الناس على ذلك الإهمال والنسيان ولا تبقى معروفة إلا

من فئة قليلة من المؤمنين تموت كمدا وحسرة ولا تنظر بما يثلج الصدور ويقر الأعين، ونحن إذا ما أردنا أن نرجع هذا الإهمال والتماهي على النسيان إلى أصل من الأصول القارة في حياة الإنسان لن نجد أبداً له أصلاً تطمئن إليه نفوسنا وتقتنع به عقولنا غير تلك الأشياء التي أومأنا إليها آنفاً. وعلى أضوائها نستطيع أن نضع الحلول الصحيحة التي تبين أسباب تناقلنا غير المقصود في اعتماد الحلول الصحيحة لقضية المسلمين والعرب الأولى وهي قضية فلسطين، فمن هو العربي الوحيد والمسلم الفرد الذي تحدثه نفسه بالبخل والتملص إزاء واجب البذل والعطاء والفداء؟ لا يستطيع أبداً أن يصف واحداً بهذا الظن الآثم ولكن بماذا يأول هذا التخاذل والتخاذل الذي يراه العدو قبل الصديق؟ ليس له من تأويل سوى أن جماهيرنا الإسلامية والعربية أصبحت في حاجة إلى من يوقفها وهي القادرة على الوقوف وفي حاجة إلى من يمشيها وهي القادرة على المشي وفي حاجة إلى من ينهبها إلى استعمال حواسها في ما هي واقعة فيه فهي لا ترى الشمس إلا إذا قيل لها انظري الشمس ولا تقف دون الهوة إلا إذا قيل لها احذري الهاوية ولا تمسك بالبندقية لترمي عدوها إلا إذا قيل لها خذي سلاحك واضربي به عدوك والمهم الأهم هنا هو السمع والطاعة والانطلاق بلا تردد وهذه كلها والحمد لله أمور موجودة ثابتة لا مرأ فيها ولا جدال وهي في ثبوتها ووجودها تمحض أهل المسؤولية وتبريء ساحة غيرهم وإذا ما تمحضوا أصبح دورهم عظيماً ومسؤوليتهم جسيمة ولكن من هم يا ترى أهل هذه المسؤولية الجسيمة؟

الجواب على هذا السؤال يبدو بديهياً لا يختلف فيه اثنان، إنهم بلا شك أولو الأمر أولئك الذين أوجب الله طاعتهم بعد طاعته وطاعة رسوله في عموم ما لا يتناقض مع أحكامه الصريحة التي لا تخضع لتأويل ولا استنباط، وسواء جعلنا أولي الأمر هؤلاء حكماً فقط أو علماء فقط أو الطائفتين معا فهم لا سواهم الذين شرفهم الله بوجوب الطاعة لهم منذ أن قال ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ وهذا التشريف يعد غنماً كبيراً يساق إليهم ولكنه يحملهم الغرم الذي هو الأفراد بالمسؤولية وتحمل التبعة، فمتى يحين الوقت الذي نرى فيه علماء المسلمين وحكامهم في مستوى مسؤولياتهم الجسام؟

لقد اجتمع أقطاب المسلمين وانتظر المؤمنون والشامتون ما ستسفر عنه جلساتهم من نتائج ومقررات وصدوم المفردون في التفاؤل عندما لم يجدوا ما أملوه وقال المعتدلون: ليس في الإمكان أبدع مما كان وأول الغيث قطر ثم ينهمر حقا أول الغيث قطر وحقا إن أصعب الأمور مبادئها غير أن اعتذاراتنا يجب أيضاً أن لا تكون مفرطة ومبالغا فيها لأن عجلة الزمن تدور بسرعة ولن تغفر الأجيال القادمة لنا تباطؤنا وترثنا للصبير حدود ومن التريث ما يكون تفریطاً وتهاوناً.



## نحو مؤسسات إفتائية رقمية<sup>(1)</sup>

بقلم فضيلة الشيخ الدكتور شوقي إبراهيم علام  
(مفتي جمهورية مصر)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى الْمُبْعُوثِ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، وَعَلَى  
آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ، أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّهُ يَطِيبُ لِي أَوَّلًا أَنْ أَتَقَدَّمَ بِأَبْرِكَ التَّهَانِي إِلَى السَّادَةِ الْعُلَمَاءِ وَالْمُفْتِينَ الْمُشَارِكِينَ  
فِي هَذَا الْمُؤْتَمَرِ الْعَالَمِيِّ عَلَى عَوْدَةِ هَذَا الْمُؤْتَمَرِ الَّذِي تَعَقَّدُهُ الْأَمَانَةُ الْعَامَّةُ لِدُورِ  
وَهَيْئَاتِ الْإِفْتَاءِ فِي الْعَالَمِ بِصُورَةٍ مُبَاشِرَةٍ بَعْدَ التَّوَقُّفِ الطَّارِئِ الَّذِي فَرَضَتْهُ الْإِجْرَاءَاتُ  
الْإِحْتِرَازِيَّةُ الْعَالَمِيَّةُ لِتَجَنُّبِ مَخَاطِرِ انْتِشَارِ فَيْرُوسِ (كُوفِيد 19) الْمَعْرُوفِ بِـ (كُورُونَا).  
وَرَعْمَ شِدَّةِ الْأَضْرَارِ النَّاجِمَةِ عَنْ هَذَا الْوَبَاءِ، فَإِنَّا قَدْ اسْتَفَدْنَا أَيْضًا الْكَثِيرَ مِنَ التَّجَارِبِ  
وَالْخِبَرَاتِ الَّتِي تَكُونَتْ وَتَرَكَتْ نَتِيجَةَ الْعَمَلِ الدَّءُوبِ وَالتَّعَاوُنِ وَالتَّكَاتُفِ الْعَالَمِيِّ  
لِمُوَاجَهَةِ هَذَا الْوَبَاءِ. وَنَحْنُ إِذْ نَقْدِّمُ هَذِهِ التَّهْنِئَةَ بِعَوْدَةِ الْمُؤْتَمَرِ لِلانْعِقَادِ الْمُبَاشِرِ، نُرْحَبُ  
أَيْضًا بِالسَّادَةِ الْوُزَرَءِ وَالْمُفْتِينَ وَالْعُلَمَاءِ الْمُشَارِكِينَ مِنْ خَارِجِ مِصْرَ فِي وَطَنِهِمُ الثَّانِي

(1) كلمة الافتتاح للمؤتمر السادس للأمانة العامة لدور وهبات الافتاء في العالم (القاهرة 2 - 3 أوت



مُضِرٍّ، وَتَرْجُو لَهُمْ إِقَامَةً سَعِيدَةً وَمُشَارَكَةً نَاجِحَةً مُوقَفَةً، وَنَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُعِينَنَا جَمِيعًا عَلَى تَحْقِيقِ الْغَايَةِ السَّامِيَةِ الَّتِي اجْتَمَعْنَا لِأَجْلِهَا، وَهِيَ دَفْعُ صِنَاعَةِ الْإِفْتَاءِ فِي الْعَالَمِ كُلِّهِ إِلَى مَزِيدٍ مِنَ التَّقَدُّمِ وَالتَّجْدِيدِ وَالتَّعَاوُنِ مِنْ أَجْلِ نَفْعِ الْبَشَرِيَّةِ.

لَقَدْ أَلْهَمْتَنَا ظُرُوفُ «وَبَاءِ كُورُونَا» الْإِسْتِثْنَائِيَّةُ الطَّارِئَةُ فَتَحَ آفَاقَ جَدِيدَةٍ وَوُلُوجَ مَسَارَاتٍ مُتَطَوِّرَةٍ فِي مَجَالِ الْإِفْتَاءِ، وَلَكِنْ بِطَرِيقَةٍ جَدِيدَةٍ مُبْتَكِرَةٍ، وَلَفَتَتْ أَنْظَارَنَا إِلَى أَهْمِيَّةِ تَحَوُّلِ الْمُؤَسَّسَاتِ الْإِفْتَائِيَّةِ نَحْوَ التَّطْوِيرِ وَالرَّقْمَةِ. وَنَحْنُ نَتَّفِقُ جَمِيعًا عَلَى أَنَّ الْعَصْرَ الَّذِي نَحْيَا فِيهِ الْآنَ ذُو طَبِيعَةٍ شَدِيدَةٍ التَّغْيِيرِ وَالتَّعْقِيدِ وَالتَّطْوِيرِ، خَاصَّةً فِي مَجَالِ الْأَفْكَارِ الَّذِي يُؤَثِّرُ تَأْثِيرًا كَبِيرًا فِي مُجَرَّيَاتِ الْأَحْدَاثِ.

وَإِنَّهُ لَمِنْ أَسْسِ التَّجْدِيدِ الْهَامَّةِ فِي مَجَالِ الْفِقْهِ وَالْإِفْتَاءِ الَّتِي تُحَقِّقُ مَقَاصِدَ الشَّرِيعَةِ الْعُرَاءِ؛ التَّجْدِيدُ فِي اسْتِعْمَالِ وَسَائِلِ التَّوَصِيلِ الْمُنَاسِبَةِ. وَمِنْ ثَمَّ بَرَزَتْ فِكْرَةُ السَّعْيِ إِلَى تَكْوِينِ مُؤَسَّسَاتٍ إِفْتَائِيَّةٍ رَقْمِيَّةٍ بِاسْتِعْمَالِ وَسَائِلِ التَّقْنِيَةِ الْحَدِيثَةِ عَلَى أَفْضَلِ وَأَتْقَنَ مَا يَكُونُ، وَمِنْ هُنَا جَاءَتْ فِكْرَةُ عَقْدِ هَذَا الْمُؤْتَمَرِ الْعَالَمِيِّ الْجَامِعِ تَحْتَ شِعَارِ (نَحْوِ مُؤَسَّسَاتٍ إِفْتَائِيَّةٍ رَقْمِيَّةٍ). وَتَرْجُو مِنَ اللَّهِ تَعَالَى أَنْ يَكُونَ هَذَا الْمُؤْتَمَرُ نَقْطَةً تَحَوُّلٍ إِيْجَابِيٍّ فِي مَسِيرَةِ تَجْدِيدِ الْعَمَلِ الْإِفْتَائِيِّ.

السَّادَةُ الْعُلَمَاءُ الْأَجَلَاءُ: تَأْتِي هَذِهِ الْخُطُوَّةُ التَّجْدِيدِيَّةُ الْهَامَّةُ فِي مَسِيرَةِ الْعَمَلِ الْإِفْتَائِيِّ اسْتِكْمَالًا لِجُهُودِ تَجْدِيدِيَّةٍ سَابِقَةٍ، تَشَارَكْنَا فِيهَا وَتَعَاوَنَّا عَلَيْهَا، وَعَمِلْنَا بِجِدٍّ وَإِخْلَاصٍ مَعًا تَحْتَ رَايَةِ مُؤَسَّسَتِكُمْ الْوَاعِدَةِ؛ وَهِيَ الْأَمَانَةُ الْعَامَّةُ لِدَوْرٍ وَهَيْئَاتِ الْإِفْتَاءِ فِي الْعَالَمِ، وَقُمْنَا بِالتَّعَاوُنِ مِنْ أَجْلِ إِعَادَةِ صُورَةِ الْإِسْلَامِ السَّمْحَةِ إِلَى وَعْيِ الْعَالَمِ كُلِّهِ، بَعْدَمَا قَامَتْ جَمَاعَاتُ التَّطَرُّفِ وَالْإِرْهَابِ بِتَشْوِيحِهَا. وَلَقَدْ كَانَ لِجُهُودِكُمْ الْمُبَارَكَةِ فِي السَّنَوَاتِ الْمَاضِيَةِ أَثَرٌ قَوِيٌّ فِي جَمْعِ كَلِمَةِ الْمُؤَسَّسَاتِ الْإِفْتَائِيَّةِ تَحْتَ رَايَةِ وَاحِدَةٍ، وَتَوْحِيدِ الْجُهُودِ لِمُوَاجَهَةِ هَذَا الْخَطَرِ الدَّاهِمِ الَّذِي أَلْحَقَ الضَّرَرَ الْكَبِيرَ بِالْعَالَمِ، وَعَمِلَ عَلَى غَزْوِ عُقُولِ الشَّبَابِ وَالْانْجِرَافِ بِهِمْ نَحْوَ هَاوِيَةِ الْأَفْكَارِ الْخَبِيثَةِ.

وَلَقَدْ كَانَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا أَنْ وَقَفَتْ مُؤَسَّسَاتُنَا الدِّينِيَّةُ الْوُطَنِيَّةُ الْوَسْطِيَّةُ فِي مُضِرٍّ وَالْعَالَمِ وَقْفَةً قَوِيَّةً صَادِقَةً لِلَّهِ تَعَالَى، لَا تَخْشَى فِي الْحَقِّ لَوْمَةً لَائِمًا، وَكَانَ جِهَادُنَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى بِالْبَجْهِرِ بِكَلِمَةِ الْحَقِّ الْمُؤَيَّدَةِ بِالْحُجَّةِ الْقَاطِعَةِ وَبِالْعَمَلِ الدَّؤُوبِ الَّذِي أَخْرَجَ الْعَدِيدَ مِنَ الْأَعْمَالِ الْعِلْمِيَّةِ الْمُثَقَّنَةِ، وَمِنْهَا الْأَعْمَالُ الْمَوْسُوعِيَّةُ الْكَبِيرَةُ الَّتِي كَشَفَتْ زَيْفَ الْأُسُسِ الْفِكْرِيَّةِ الَّتِي أَقَامَتْ عَلَيْهَا تِلْكَ الْجَمَاعَاتُ صُرُوحَ إِرْهَابِهَا

وَبُيِّنَ صَلَالُهَا. وَلَقَدْ قُمْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ تَعَالَى بِإِطْلَاقِ الْمَنْصَآتِ الرَّقْمِيَّةِ وَعَقَدْنَا بَرَامِجَ التَّدْرِيبِ الْمُسْتَمِرَّةِ، وَحَوَّلْنَا جَمِيعَ التَّوَصِيَّاتِ الَّتِي كَانَتْ يَنْتَهِي إِلَيْهَا مُؤْتَمَرُكُمْ الْكَرِيمُ إِلَى مَنَاهِجٍ وَبَرَامِجٍ وَمَشْرُوعَاتٍ قَوَانِينٍ تَشْرِيعِيَّةٍ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْجُهُودِ الْمُبَارَكَةِ.

وَلَا شَكَّ أَنَّ رِدَّةَ فِعْلِ الْأَبْوَابِ الْإِعْلَامِيَّةِ الْكَاذِبَةِ لِهَذِهِ الْجَمَاعَاتِ الَّتِي تَمَثَّلَتْ فِي نَشْرِ الْأَكَاذِيبِ وَتَشْوِيهِ صُورَةِ الْعُلَمَاءِ الْعَامِلِينَ فِي دَارِ الْإِفْتَاءِ الْمُضَرِّيَّةِ، وَالْعُلَمَاءِ الْمُشَارِكِينَ فِي الْأَمَانَةِ الْعَامَّةِ، لِيُؤَكِّدَ لَنَا أَنَّنَا نَمْضِي قُدَمَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى نَحْوَ الطَّرِيقِ الصَّحِيحِ.

السَّادَةُ الْعُلَمَاءُ الْأَجَلَاءُ: أَوْدُ مِنْ خِلَالِ هَذَا الْمُؤْتَمَرِ الْعَالَمِيِّ أَنْ أَوْجَّهَ عِدَّةَ رَسَائِلَ لَهَا شَأْنُهَا وَأَهَمِّيَّتُهَا فِي مَسِيرَةِ عَمَلِنَا الْمُؤَسَّسِيِّ الْإِفْتَائِيِّ التَّجْدِيدِيِّ، وَلَهَا خَطَرُهَا أَيْضًا فِي مُسْتَقْبَلِ شُعُوبِنَا مِنْ أَجْلِ نَشْرِ قِيمِ الْوَسْطِيَّةِ وَالْقَضَاءِ عَلَى التَّطَرُّفِ وَالْإِرْهَابِ بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى:

الرَّسَالَةُ الْأُولَى أَوْجَّهَهَا إِلَيَّ فَخَامَةُ السَّيِّدِ الرَّئِيسِ الْقَائِدِ عَبْدِ الْفَتَّاحِ السَّيِّسِيِّ - حَفِظَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَرَعَاهُ:

يَا سَيَادَةَ الرَّئِيسِ، أَقُولُهَا لِلَّهِ تَعَالَى ثُمَّ لِلتَّارِيخِ، لَقَدْ أَدْرَكْتُمْ - سَيِّدِي الرَّئِيسُ - بِثَاقِبِ نَظَرِكُمْ، وَعَمِيقِ فِكْرِكُمْ، وَبِقَلْبِكُمْ الْمُخْلِصِ الصَّادِقِ، وَبِفَهْمِكُمْ الْعَمِيقِ الْوَاعِي لِتَعَالِيمِ دِينِنَا الْحَنِيفِ وَقِيَمِهِ، مَا تُمَثِّلُهُ أَفْكَارُ هَذِهِ الْجَمَاعَاتِ الْإِرْهَابِيَّةِ مِنْ خَطَرٍ عَظِيمٍ يَهْدُدُ الْعَالَمَ بِأَسْرِهِ، وَيُقَوِّضُ الْأَمْنَ وَالسَّلَامَ الْعَالَمِيِّينَ، وَيَسْعَى لِلْقَضَاءِ عَلَى قِيَمِ سَامِيَّةِ شَرِيفَةِ كَالْتِسَامُحِ وَالتَّعَايُشِ وَالتَّرَاحُمِ بَيْنَ النَّاسِ جَمِيعًا، بِغَضِّ النَّظَرِ عَنِ انْتِمَائِهِمُ الدِّينِيِّ أَوْ الْعِرْقِيِّ؛ قِيَمِ نَبِيلَةِ شَرِيفَةِ أَنْزَلَهَا اللَّهُ فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ، وَرَسَخَهَا رَسُولُ الْإِنْسَانِيَّةِ وَنَبِيُّ الرَّحْمَةِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَتَجَسَّدَتْ فِي أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ الشَّرِيفَةِ وَأَخْلَاقِهِ الْعَظِيمَةِ تَجَسُّدًا حَيًّا لَمْ يَتَحَقَّقْ لِبَشَرٍ غَيْرِهِ قَطُّ، فَهُوَ الَّذِي قَالَ فِيهِ رَبُّهُ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾. وَمِنْ مَشْكَاتِ هَذَا الْهَدْيِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيفِ نَادَيْتُمْ - فَخَامَةُ الرَّئِيسِ - فِي أَكْثَرِ مِنْ خِطَابٍ وَمُنَاسِبَةٍ بِدَعَوَاتِكُمْ الشَّرِيفَةِ الْمُتَكَرِّرَةِ الْمُلِحَّةِ مِنْ أَجْلِ ضَرُورَةِ تَجْدِيدِ الْخِطَابِ الدِّينِيِّ، وَأَطْلَقْتُمْ يَا سَيَادَةَ الرَّئِيسِ نِدَاءَاتِ التَّحْذِيرِ الصَّرِيحَةِ الْوَاضِحَةِ مِنَ الْخَطَرِ الْمُحْدِقِ بِالْعَالَمِ كُلِّهِ جَرَاءِ انْتِشَارِ الْأَفْكَارِ الْإِرْهَابِيَّةِ الَّتِي هِيَ أَشَدُّ فَتْكًا وَتَدْمِيرًا مِنْ خَطَرِ السَّلَاحِ وَالْمُتَفَجَّرَاتِ.

وَكَاثَتْ الْإِسْتِجَابَةُ الْفُورِيَّةُ مِنْ دَارِ الْإِفْتَاءِ الْمَضَرِّيَّةِ وَمِنْ الْأَمَانَةِ الْعَامَّةِ وَعُلَمَائِهَا حَوْلَ الْعَالَمِ، لِتَحْوِيلِ دَعْوَةِ سَيَادَتِكُمْ - سَيَادَةِ الرَّئِيسِ - لِتَجْدِيدِ الْخِطَابِ الدِّينِيِّ إِلَى بَرَامِجِ عَمَلٍ عِلْمِيَّةٍ وَخُطَطِ مَشْرُوعَاتٍ مَوْسُوعِيَّةٍ وَبَحْثِيَّةٍ، سُرْعَانَ مَا خَرَجْتَ إِلَى جَمِيعِ أَقْطَارِ الْأَرْضِ، وَاسْتِفَادَ مِنْهَا الْقَاصِي وَالْدَّانِي، حَتَّى وَصَلْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ تَعَالَى ثُمَّ بِفَضْلِ دَعْمِكُمْ - فَخَامَةِ الرَّئِيسِ - إِلَيَّ مَا تَحَدَّثْنَا عَنْهُ سَالِفًا مِنْ إِنْجَارَاتٍ مُبَارَكَةٍ، أَثَرَتْ فِي مَسِيرَةِ تَجْدِيدِ الْخِطَابِ الدِّينِيِّ تَأْثِيرًا إِيْجَابِيًّا مَلْمُوسًا، وَلَا زِلْنَا عَلَى الطَّرِيقِ، بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى؛ كَيْ نَسْتَكْمِلَ الْمَسِيرَةَ الْمُبَارَكَةَ فِي خِدْمَةِ الْوَطَنِ وَالِدِّينِ وَالْإِنْسَانِيَّةِ تَحْتَ قِيَادَتِكُمْ الْمُبَارَكَةِ سَيَادَةِ الرَّئِيسِ عَبْدِ الْفَتَّاحِ السَّيْسِيِّ - حَفِظَهُ اللَّهُ.

يَا سَيَادَةَ الرَّئِيسِ، إِنَّ كُلَّ إِنْسَانٍ مُنْصَفٍ عَاقِلٍ مُتَجَرِّدٍ عَنِ الْعَصَبِيَّةِ وَالْهَوَى، لَيُذَرِّكُ بوضوح وجلاءٍ مَا أَجْرَاهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ خَيْرَاتٍ وَفِيرَةٍ، وَفُتُوحَاتٍ مُبَارَكَةٍ عَمِيمَةٍ عَلَى هَذِهِ الْبِلَادِ الْمُبَارَكَةِ مِنْ أَمْنٍ وَأَمَانٍ وَسَكِينَةٍ وَاسْتِقْرَارٍ، وَإِنَّا بِكُلِّ تَجَرُّدٍ وَإِخْلَاصٍ لِنَدْعُمَ مَوَاقِفَكُمْ الرَّصِينَةَ الشُّجَاعَةَ، وَخُطُواتِكُمْ الْمُبَارَكَةَ، وَاسْتِرَاتِيَجِيَّتِكُمْ الْحَكِيمَةَ فِي التَّعَامُلِ مَعَ قَضِيَّةِ سَدِّ النَّهْضَةِ، بِمَا يُحَقِّقُ الْاسْتِقْرَارَ وَالْأَمْنَ الْمَائِيَّ لِدَوْلٍ حَوْضِ النِّيلِ قَاطِبَةً مِنَ الْمَنْعِ إِلَى الْمَصَبِّ، وَمَا عَهَدْنَا عَلَيْكُمْ يَا سَيَادَةَ الرَّئِيسِ - وَاللَّهُ حَسْبُكُمْ - إِلَّا الْحِرْصَ عَلَى أَمْنِ مِصْرَ الدَّاخِلِيِّ وَالْقَوْمِيِّ، وَإِنَّ السَّكِينَةَ لَتَمْلَأُ قُلُوبَنَا وَالطَّمَأْنِينَةَ تَعُمُّ أَرْوَاحَنَا وَأَنْتُمْ تَعْبُرُونَ بِمِصْرٍ مِنْ نَصْرِ إِلَى نَصْرٍ، وَمِنْ عِزٍّ إِلَى عِزٍّ، وَمِنْ مَجْدٍ إِلَى مَجْدٍ ۖ فَسِرْ يَا سَيَادَةَ الرَّئِيسِ عَلَى بَرَكََةِ اللَّهِ، سِرْ يَا سَيَادَةَ الرَّئِيسِ، فَلَا كَبَا بَكَ الْفَرَسُ بِإِذْنِ اللَّهِ، سِرْ يَا سَيَادَةَ الرَّئِيسِ، وَنَحْنُ جُنْدُكَ الْوَفِيُّ الْمُخْلِصُ فِي خِدْمَةِ وَطَنِنَا الْعَزِيزِ مِصْرَ.

وَالرَّسَالَةُ الثَّانِيَّةُ إِلَى السَّادَةِ الْمُفْتِينَ وَالْوُزَرَءِ وَالْعُلَمَاءِ وَالْبَاحِثِينَ الْمُشَارِكِينَ فِي الْمُؤْتَمَرِ، وَأَخْصُ بِالذِّكْرِ عُلَمَاءَ دَارِ الْإِفْتَاءِ الْمَضَرِّيَّةِ وَالْأَمَانَةِ الْعَامَّةِ لِدَوْرٍ وَهَيَّاتٍ الْإِفْتَاءِ فِي الْعَالَمِ: لَقَدْ وَفَّقَكُمُ اللَّهُ تَعَالَى لِتَحْمُلِ مَسْئُولِيَّةٍ عَظِيمَةٍ، لَا يُصْطَفَى لَهَا إِلَّا أَفْضَلُ الْعُلَمَاءِ. وَكُنَّا - وَلَا زِلْنَا، وَسَوْفَ نَسْتَمِرُّ بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى - نَعْمَلُ جَنبًا إِلَى جَنَبٍ صَفًّا وَاحِدًا فِي خِدْمَةِ الدِّينِ وَالْوَطَنِ لِأَجْلِ نَشْرِ الْمَنْهَجِ الْوَسْطِيِّ. وَلَقَدْ بَدَّدَتْ جُهُودُكُمْ الْمُخْلِصَةَ الدَّعْوَةَ الْكَثِيرَ مِنْ ظُلُمَاتِ الْجَهْلِ وَالْإِزْهَابِ، وَلَا زَالَتِ الْأُمَّةُ الْإِسْلَامِيَّةُ تَأْمُلُ فِيكُمْ الْخَيْرَ الْكَثِيرَ، وَتَرَى فِي مُؤَسَّسَتِكُمْ وَفِي فِتَاوَاكُمْ وَفِي أَحَادِيثِكُمْ الْإِعْلَامِيَّةِ الْمُنفَذَةِ مِنَ الْفِتْنَةِ الَّتِي حَاوَلَتْ جَمَاعَاتُ التَّطَرُّفِ إِشْعَالَ نِيرَانِهَا فِي كُلِّ مَكَانٍ،

وَلَقَدْ تَحَمَّلْتُمْ الْكَثِيرَ مِنَ الْإِبتِلَاءَاتِ مِنْ أَجْلِ بُلُوغِ تِلْكَ الْغَايَةِ الَّتِي أَفَاقَكُمْ اللَّهُ فِيهَا، وَوَفَّقَكُمْ إِلَى بُلُوغِهَا، وَكُنْتُمْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا.

الرَّسَالَةُ الثَّلَاثَةُ أَوْجَهَهَا إِلَى شَعْبِ مِصْرَ الْكَرِيمِ: أَيُّهَا الشَّعْبُ الْحَضَارِيُّ الْعَظِيمُ، كُنْتَ دَوْمًا مَصْدَرًا لِلْعِلْمِ وَالْحَضَارَةِ وَالثَّقَافَةِ، فَكَمْ أَخْرَجْتَ إِلَى الْبَشَرِيَّةِ مِنْ عُلَمَاءَ أَفْذَادٍ، وَمُفَكِّرِينَ كِبَارٍ، وَقَادَةَ عِظَامٍ، وَكُنْتَ بِحَقِّ مَصْدَرٍ إِشْعَاعِ حَضَارِيٍّ عَبْرَ التَّارِيخِ، وَلَا زِلْتَ تُبْهِرُ الْعَالَمَ بِمَا تُحَقِّقُهُ مِنْ إِنْجَازَاتٍ تَحْتَ قِيَادَةِ فَخَامَةِ الرَّئِيسِ عَبْدِ الْفَتَّاحِ السَّيْسِيِّ، إِنَّ الْعَالَمَ لَا يَنْسَى لِشَعْبِ مِصْرَ وَقَفَتُهُ الْقُوَّةَ فِي الثَّلَاثِينَ مِنْ يُونْيُو لِكَي يَقُولَ لِلْإِرْهَابِ: لَا! وَلِكَي يُنْهِيَ حُكْمَ الْجَمَاعَةِ الْإِرْهَابِيَّةِ فِي مِصْرَ إِلَى الْأَبَدِ، وَلِكَي يَضَعُ نِهَايَةً حَاسِمَةً لِحَالَةِ التَّرَاخِي وَالتَّرَدُّدِ الَّتِي حَظَّتْ بِهَا تِلْكَ الْجَمَاعَاتُ لِفَتَرَاتٍ وَحَقَبٍ طَوِيلَةٍ. فَتَحِيَّةٌ مِنَ الْقَلْبِ لِشَعْبِ مِصْرَ الْعَظِيمِ؛ صَانِعِ الْحَضَارَةِ مُنْذُ فَجَرِ التَّارِيخِ.

وَأَخِيرًا، إِلَى السَّادَةِ الْعُلَمَاءِ الْمُشَارِكِينَ فِي هَذَا الْمُؤْتَمَرِ الْجَامِعِ، كُنْتُمْ دَائِمًا عِنْدَ حُسْنِ ظَنِّ الْأُمَّةِ بِكُمْ، وَضَرَبْتُمْ أَرْوَاحَ الْأَمْثَالِ فِي الثَّبَاتِ عَلَى تَبْلِيغِ كَلِمَةِ اللَّهِ إِلَى الْعَالَمِينَ، وَلَمْ تَتَهَيَّبُوا مَا أُلْفِيَ فِي طَرِيقِكُمْ مِنْ عَرِاقِيلٍ، وَكَانَتْ مَسِيرَةُ الْأَمَانَةِ الْعَامَّةِ تَزْدَهْرُ بِكُمْ، وَتَتَطَوَّرُ بِفَضْلِ جُهُودِكُمْ، وَأَنْتُمْ الْيَوْمَ عَلَى ثَغْرِ عَظِيمٍ مِنْ ثُغُورِ الْإِسْلَامِ الْوَسْطِيِّ، وَقَدْ اجْتَمَعْتُمْ مِنْ أَجْلِ تَطْوِيرِ مَسِيرَةِ الْعَمَلِ الْإِفْتَائِيِّ الْعَالَمِيِّ نَحْوَ الرَّقْمَنَةِ؛ لِتَكُونِ مَوْسَسَاتٍ إِفْتَائِيَّةٍ رَفِيعَةٍ حَدِيثَةٍ، وَسَوْفَ يَحْلِدُ التَّارِيخُ مَا تَقُومُونَ بِهِ مِنْ جُهِدٍ وَجِهَادٍ، وَكُلِّي أَمَلٌ فِي اللَّهِ تَعَالَى الَّذِي حَقَّقَ عَلَى أَيْدِيكُمْ الْكَثِيرَ مِنَ الْإِنْجَازَاتِ الْعَظِيمَةِ لِلْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، بَلْ لِسَائِرِ الْبَشَرِيَّةِ، أَنْ يَكُونَ إِنْجَازُ هَذَا الْعَامِ كَمَا تَعُودُنَا مِنْكُمْ فِي الْأَعْوَامِ السَّابِقَةِ، مِنْ تَقْدِيمِ أبحاثٍ عِلْمِيَّةٍ جَادَةٍ، وَالْمُشَارَكَةِ فِي وَرَشِ عَمَلٍ، وَمُنَاقَشَاتٍ، وَإِعْدَادِ تَوْصِيَّاتٍ تَتَحَوَّلُ دَائِمًا بِفَضْلِ اللَّهِ تَعَالَى إِلَى بَرَامِجِ عَمَلٍ وَتَدْرِيبٍ. وَفِي خَتَامِ كَلِمَتِي لَا يَسْعُنِي إِلَّا أَنْ أَتَقَدَّمَ بِالشُّكْرِ لَكُمْ جَمِيعًا، وَأَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يُوفِّقَكُمْ فِيمَا فِيهِ صَالِحُ الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، إِنَّهُ وَلِيٌّ ذَلِكَ وَالْقَادِرُ عَلَيْهِ. وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ.



## جوانب متميزة من شخصيّة المنعم الشيخ الأستاذ البشير العربي

بقلم : الأستاذ محمد العزيز السّاحلي

يعد المرحوم فضيلة الشيخ الأستاذ البشير العربي من أعلام الزيتونة البارزين، ومن الأساتذة النابهين الذين ملأوا حياتهم نشاطاً في ميادين التربية والتعليم والثقافة الإسلامية والدعوة إلى الله عزّ وجلّ فهو العالم العامل بعلمه، الموسوعي في معارفه، ككل علماء الزيتونة الأبرار، إذ جمع رحمه الله بين العلوم الشرعيّة فبرز فيها، وبين علوم اللغة والأدب والشعر فأبدع وأجاد. إذ أنّه خدّم العلم والدين وبذل جهوداً فخمة مباركة طيلة سبعين سنة لنشر تعاليم الإسلام السمحة في هذه البلاد ووضّح المعالم لكثير من الأجيال وقدم أجلّ الخدمات الخالدة وأثار عقول أجيال من طلبتنا بالعلم النافع. كما ألقى العديد من المحاضرات والقصائد على منابر الجمعيات الثقافية وكتب في عدد من الدوريات التونسية فجازاه الله عن ذلك أحسن الجزاء. واعترفاً منا بالجميل إلى أستاذنا الجليل المرحوم فضيلة الشيخ البشير العربي الذي أحببني وأحببته ووفاء لروحه الطاهرة الزكية نقدّم لمحة وجيزة عن حياته المليئة بجلال الأعمال.

\* نشأته ومراحل دراسته :

هو المنعم المبرور الشيخ الأستاذ البشير بن الحاج محمد بن حميدة العربي المدرّس الواعظ الأديب الأريب الباحث القدير وعضو المجلس الإسلامي الأعلى

بتونس، ولد بمدينة تونس يوم 25 نوفمبر 1923، وهو ينحدر من أصول جزائرية، إذ استقرّ أسلافه بالعاصمة منذ بضعة أجيال. نشأ الفقيه في عائلة محافظة متشبّثة بهويّتها العربيّة الإسلاميّة، وبعدها حفظ نصيبا من القرآن الكريم دخل مدرسة السلام القرآنيّة سنة 1931 التي كان يديرها الأستاذ الشاذلي المرالي، ثمّ انتقل منها إلى المدرسة «الفرنكو العربيّة» بدار الجلد حيث تحصّل على الشهادة الابتدائيّة. وفي السنة الدراسيّة 1937 - 1938 اندرج في سلك طلبة جامع الزيتونة المعمور وانتقل بنجاح من سنة إلى أخرى من سنوات التعليم الزيتوني إلى أن أحرز على الأهليّة سنة 1943 ثمّ على شهادة التحصيل وأخيرا على شهادة العالميّة مع تلقيه دروسا بالخلدونيّة على خيرة المدرّسين في مقدّمهم الشيخين العربي الكبادي وبلحسن بن شعبان والمؤرّخ عثمان الكعاك.

هذا وقد تتلمذ الراحل العزيز بالجامع الأعظم على نخبة من العلماء الأعلام نخصّ بالذكـر منهم : العلامة البحر الشيخ محمد الفاضل ابن عاشور، وقاضي الجماعة الشيخ محمد البشير النيفر والعلامة الفقيه الشيخ محمد الزغواني، وسماحة الشيخ عمر العدّاسي، والعلامة الشيخ محمد الشاذلي النيفر، وفضيلة الشيخ الأديب محمد الأمجد قديّة الذي كان يحبّه كثيرا ورثاه عند وفاته سنة 1952 بمقال بمجلة الندوة بعنوان «شيخني الأمجد».

بعد أن تحصّل أستاذنا الجليل البشير العربي على العالميّة عيّـن منذ فيفري 1948 مدرّسا بفرع القيروان الزيتوني، وعاد بعد سنة إلى العاصمة ليدرس بالفرع الحفصي. وفي سنة 1956 انتدب مديرا للمدرسة الثانويّة الزيتونية لمدة سنتين، وفي الستينات عيّـن الفقيه أستاذا بالمدرسة الصادقيّة فقام بهذه المهمة أحسن قيام وتخرّجت على يديه جموع من الطلبة يذكرونه ويشكرون فضله، وأسندت له جمعيّة قدماء الصادقيّة شهادة تقدير، وفي سنة 1973 ألحق شيخنا بإدارة الشعائر الدينيّة بالوزارة الأولى للعمل بها وأشرف على إدارة مجلة «الهداية» مع الشيخ المرحوم محمد المهيري، والمنعم الدكتور التهامي نكرة وذلك بتكليف من صديقه الوفي فضيلة الشيخ مصطفى كمال التارزي رحمه الله.

كما انتدب الفقيه للعمل بموريتانيا الشقيقة كمدير لمعهد الدراسات الإسلاميّة العليا في نطاق التعاون الفني كما ذكر لي ذلك رحمه الله، فأدى مهمته بكل أمانة واقتدار. هذا والجدير بالملاحظة أنّ المترجم له نشط في عدة جمعيّات من أهمّها

جمعية الشبان المسلمين وكان كاتباً قاراً لها. كما كان عضواً مؤسساً لنادي القلم ونادي أبي القاسم الشابي الأدبيين. أما على المستوى الكشفي فقد نشط في الفرع الكشفي التابع لجمعية الشبان المسلمين ثم تحول بداية من سنة 1946 إلى جمعية الكشف المسلم التونسي، ليعين سنة 1949 قائد كتابة للكشافة الإسلامية التونسية. انتخب العديد من المرات في المجلس الأعلى للكشافة التونسية وتولى قيادة جهة تونس للكشافة في بدايات الاستقلال، وفي سنة 1959 أسندت إليه مهمة النشر في القيادة العامة.

### نشاطه العلمي :

ألقى الراحل العزيز العديد من المحاضرات والقصائد على منابر الجمعيات الثقافية والتي نتمنى أن تصدر في كتاب مستقل حتى تعم الفائدة الجميع. ومن بين هذه المحاضرات محاضرة بعنوان «الحضارة الإسلامية بين أمسها الزاهر وغدها المأمول» ألقاها بمناسبة ليلة السابع والعشرين من رمضان 1387 هـ بمحضر رئيس الجمهورية الحبيب بورقيبة وصدرت في كتيب عن الدار التونسية للنشر سنة 1969.

هذا وقد كتب الفقيه في عدد من الدوريات التونسية ومن أهمها : الصباح والندوة ومجلة الهداية الذي كان مدير تحريرها ومجلة الشبان المسلمين والمجلة الصادقية ومجلة جوهر الإسلام الذي كتب فيها العديد من الدراسات منذ نشأتها وذلك بدعوة من صديقه صاحب المجلة المرحوم فضيلة الشيخ الحبيب المستاوي. وله برامج وحصص إذاعية وتلفزيونية، أنتخب عضواً بمجلس الأمة بين 1979 و1981 فقام بهذه المهمة أحسن قيام. ولقد كان أستاذاً الفاضل سيدي البشير العريبي طيب الله ثراه حريصاً على حضور نادي الجمعة الذي يجمع ثلة من المشايخ الأفاضل والأساتذة الأجلاء نخص بالذكر منهم : سماحة الشيخ محمد المختار السلاّمي، والدكتور صالح المهدي والأستاذ محمد مزالي والشيخ حامد العلوييني والأستاذ قاسم بوسنينة والأستاذ بشير بن سلامة والأستاذ محي الدين عزوز والدكتور عمر الشاذلي والأستاذ علي حمريت يتناقشون القضايا الثقافية والدينية المعاصرة.

### مساهمته في تأليف نشيد الاستقلال الليبي :

لقد كان للفقيه العزيز دور في التقارب بين الشعبين التونسي والليبي إذ شارك في مسابقة بعد استقلال ليبيا (ديسمبر 1951) مع مجموعة من الشعراء العرب وذلك



لاختيار نشيد رسمي للمملكة الليبية آنذاك. فقرّرت اللجنة العلميّة المكلفة بالنظر في هذه الأناشيد نجاح نشيده وإسناده جائزة مالية معتبرة (200 دينار في ذلك الوقت)، فقرّر أستاذنا الكريم إثر ذلك التبرّع بها لفائدة القضية الفلسطينية.

وتجدر الإشارة هنا إلى أنّ هذا النشيد الرائع والذي لحّنه الموسيقار الكبير محمد عبد الوهاب استمرّ طيلة حكم الملك إدريس السنوسي رحمه الله، ولم يحذف إلّا بعد تولي العقيد معمر القذافي الحكم، يقول الشاعر القدير البشير العربي في حوار أجرته معه جريدة «طرابلس الغرب» في عددها الأوّل - سلسلة جديدة - الصادرة في 8 سبتمبر 2011 ما يلي: «بعد استقلال ليبيا مباشرة أجرت وزارة المعارف الليبية آنذاك مسابقة لاختيار النشيد الوطني الخاص باستقلال ليبيا، وقد شاركت في المسابقة، وتكونت لجنة للاطلاع على النصوص والتحكيم فيما بينها تتكوّن من رئيس مجمع اللغة العربيّة في القاهرة وعضوية عمالقة في الأدب والشعر ومن بينهم أحمد الزيات ومحمود عبّاس العقّاد، وقد فاز نصّي بالترتيب الأوّل».

هذا وعلى إثر انتصار الثورة الليبية واسترجاع الشعب الليبي الشقيق لحريته وكرامته قرّرت القيادة السياسيّة الجديدة إعادة اعتماد النشيد الذي ألفه أستاذنا الجليل البشير العربي منذ استقلال ليبيا كنشيد رسمي للبلاد مع علم الاستقلال الجميل، وأهمّ ما جاء فيه :

يا بلادي بجهادي وجلادي \* ادفعي كيد الأعادي والعوادي

واسلمي

اسلمي طول المدى \* إنّنا نحن الفداء

ليبيا ليبيا ليبيا

يا بلادي أنت ميراث الجدود \* لا رعى الله يداً تمتدّ لك

فاسلمي

إنّا على الدهر جنود \* لا نبالي إن سلمت من هلك

وخذي منّا وثيقات العهود \* إنّنا يا ليبيا لن نخذلك

لن نعود للقيود \* قد تحرّرتنا وحرّرتنا الوطن

ليبيا ليبيا ليبيا



## وفاته :

انتقل الراحل العزيز إلى جوار ربّه يوم 11 ماي 2018، وقد شيّعهُ إلى مثواه الأخير بمقبرة الزلاّج جمع من أصدقائه وتلاميذه ومحبيه، وأبْنهُ الأستاذ محمد العزيز الساحلي الإمام الخطيب وعضو الهيئة المديرية لجمعية قداماء جامع الزيتونة وأحبّائه وممثل عن الكشافة التونسية.

رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فراديس جنانه وبارك له في أبنائه وأسرتة الكريمة وحشره مع الذين أنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

وإنّا لله وإنّا إليه راجعون.

## المراجع

- الأستاذ محمد ضيف الله، الحركة الكشفية التونسية (1916 - 1965)، الصادر عن المعهد العالي لتاريخ الحركة الوطنية والمعهد العالي للتوثيق سنة 2009.
- جريدة «طرابلس الغرب»، العدد الأوّل، الصادرة في 8 سبتمبر 2011.
- جريدة «حقائق»، العدد 163 من الجمعة 30 سبتمبر 2011، مقال لمحمد العزيز الساحلي بعنوان «الأستاذ البشير العريبي مؤلف نشيد الاستقلال الليبي».
- حوار أجراه محمد العزيز الساحلي مع الفقيه قبل وفاته (مخطوط).
- نشرية أصدرتها جمعية قداماء المدرسة الصادقية ودار الكتب الوطنية والكشافة التونسية وجمعية قداماء جامع الزيتونة وأحبّائه بمناسبة ذكرى أربعينيّة الأستاذ البشير العريبي (29 جوان 2018).



## الشيخ محمد بلكبير رحمه الله: ملامح من سيرته وجهوده في نشر العلم

بقلم الاستاذ محمد رميلات الحسني

مما يروى عن فضيلة الشيخ سيدي محمد بلكبير أن رجلاً سأله عن سبب عزوفه عن التأليف فقال رحمه الله : « إننا مشغولون عن تأليف الكتب بتأليف الرجال » ، فقد تخرّج في مدرسته أزيد من 70 ألف حافظ لكتاب الله بين سنتي 1952 م و 1992 م ولا يزال مدد الله متواصل ، وكان تلامذته من مختلف جهات القطر ومن خارج الجزائر كالسودان والمغرب وتونس وليبيا وفرنسا والنيجر وتشاد ومالي ... وكان إطعامهم وإيوائهم وتدريسهم على نفقته الخاصة .

الشيخ سيدي محمد بلكبير ملأت سجاياه الزمان والمكان بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .... ذات مرة وبينما كان يُلقى درسه بين العشائين - وكنت من الحاضرين - وإذا بصوت المؤذن يرتفع في مسجد مجاور فأمسك الشيخ عن الكلام وبقي صامتا يُصغي لصوت الحق ، وكان المؤذن يُرجع الصوت بالأذان ويبالغ في زخرفته وتمطيط حروفه حتى خرج به من التغني إلى الغناء ... ولما انتهى من الأذان ، قال سيدي الشيخ عليه رحمة الله وكأنه يُخاطب المؤذن : « أذن أذاناً سَمَحاً وإلا فاعتزلنا » فكان ذلك آخر آذان يرفعه صاحبنا ، ومنذ ذلك اليوم لم نسمع له حساً ولا ركزاً ... وذات ليلة كُنّا في حلقة الشيخ ، وكان منهمكاً في إلقاء درسه بين العشائين وإذا بأصوات فرقة « القرقابو » المتسرّبة من بيت جارنا في المسجد تقتحم علينا الدرس وقد كان صاحبنا يقيم حفل زفاف لأحد أبنائه ... فسكت الشيخ هنيهة وأطرق برأسه قليلاً ثم رفعه وقد ارتسمت على مُحياه ابتسامة مشرقة افترّرت عن ثغره كأنه اللؤلؤ المكنون زادت وجهه المتلألئ أنواراً وجمالاً ، وقال : « لجارنا ليلة ولنا

سائر الليالي « ولم يزد على ذلك... كان رحمه الله لا ينام من الليل إلا قليلاً ، حتى إذا أذن المؤذن لصلاة الفجر يخرج من بيته يمشي الهوينا ويترنح في خطواته المتثاقلة كأنه غُصْنُ الْبَانِ تَمِيلُ به النسائم العليلية يميناً وشمالاً ، فيتجه إلى المسجد وفي طريقه يجد ذوي الحاجات وقد اصطقوا في انتظار ما تجود به يده الكريمة ، فكان يُعطي جميع السائلين « عطاء مَنْ لا يخشى الفقر » ... كان يتصدق على كل مَنْ يُصادفه من السائلين بحزمة من الأوراق النقدية التي تُدخل السرور إلى قلوبهم ، أوراق نقدية لا يحسبها ولا يعدّها ... وكان ذلك ديدنه كل صباح ، وفي مسجده العامر بوسط مدينة أدرار يؤم المصلين كعادته في صلاة الصبح ...

لا يزال صوته الشجي المنبعث من محراب الجامع الكبير يرن في أذني كأنما أسمعُه الآن ... ولَمَّا تنقضي الصلاة يبقى لله ذاكراً شاكراً تالياً لكتاب الله إلى أن ترتفع الشمس قليلاً فيصلّى الضحى ويعود إلى بيته فلا يمكث هناك إلا يسيراً ثم يتوجه إلى صالة الضيوف فيتناول فطور الصباح مع زائريه القادمين من كل فج عميق ويجالسهم ويمارحهم ثم يغادرهم في حدود الساعة الثامنة والنصف أو التاسعة ليتجه إلى قاعة فسيحة الأرجاء ، واسعة الفناء ، في الطابق الأول ، تُسمى « المجلس » هنالك يبدأ دروسه المختلفة في الفقه والتفسير والمنطق والنحو والعقيدة والسلوك وعلم الحديث ... فينتقل بين هذه المواد الدراسية كما ينتقل النحل بين الزهور ليجمع الرحيق من هنا وهناك ليخرجه للناس عسلاً مصفى فيه شفاء للناس ، ويبقى على هذه الحال إلى أن تميل الشمس إلى الزوال قليلاً ، ولا يغادر مجلسه ذاك إلا في حدود الساعة الثانية عشرة والنصف أو الواحدة ، ومنها يذهب مباشرة إلى قاعة الضيوف فيتناول طعام الغداء مع مَنْ حَضَرَ ، وقد يصل ضيوفه إلى المائة والمئتين كل يوم ، وكانوا جميعاً لا يصدرون إلا عن طعام مختلف ألوانه ، وأطباق التمر ، وقداح اللبن ، وكؤوس الشاي المنعنع الذي تنبعث روائحه الزكية في أرجاء المكان ، وبعد الغداء وفي حدود الساعة الثانية بعد الزوال يتجه الشيخ إلى بيته ليأخذ نصيبه من الراحة ، فيغفو إغفاءة القيلولة إلى أن ينكسر الحر قليلاً ، ومدينة أدرار ومنطقة توات عموماً معروفة بقيضها الشديد في فصل الصيف ...

وفي حدود الساعة الرابعة مساءً يؤم الشيخ المصلين لصلاة الظهر ولا يغادر محرابه إلى صلاة العصر ، وبعيد صلاة العصر مباشرة يشرع في ورده اليومي فيذكر الله ذكراً كثيراً ، ويسبحه سَبْحاً طويلاً زهاء ساعتين ... ثم يغادر إلى بيته فلا يخرج منه إلا قبيل المغرب بدقائق معدودات ، ليؤم الناس لصلاة المغرب فإذا انفلت من الصلاة أدى ورده ثم ينتقل من محرابه إلى متكأ له في وسط المسجد وهناك يشرع في الدرس بين العشائين ، أو هي بالأحرى مجموعة دروس منتظمة موجهة لعامة المسلمين وليست كدروس الصبيحة الموجهة إلى خواص الطلبة ممن بلغوا

في العلم مراتب عليـة ... ويتأخر بالعشاء قليلاً إلى الساعة الحادية عشرة ليلاً في الصيف ... وهكذا هي أيام السنة كلها ، وقد زاره الرئيس الراحل الشاذلي بن جديد رحمه الله ، ومكث لديه أياماً وليالي ، فلم يتغير برنامج الشيخ في ذكره وأوراده ودروسه ... كان السيد الرئيس يجلس القرفصاء في حلقة دروس الشيخ متواضعاً مصغياً مستمعاً كأن على رأسه الطير ويأكل مما يأكل عامة الضيوف ولم يتميز عن الناس بشيء ، كما كان يتردد على الشيخ جل الوزراء والسفراء والجنرالات وقادة الأمن وعليـة القوم فلا يحفل بأحد ولا يُميزه باستقبال خاص أو طعام خاص .. كان جميع زوّاره سواء لا فرق بين أميرهم وحقيـرهم ، ولا بين غنيهم وفقيرهم . حياة الشيخ سيدي محمد بلـكبير حياة عامرة بالعلم والذكر والصدقة وأعمال البر سواد الليل وبياض النهار ... زاره العلماء فاندھشوا ، وجلس الدكاترة والمشايخ في حلقات دروسه فانبهروا ، ورأى الناس سيرته العطرة فحارت عقولهم في جلائل أعماله ومناسك بطولاته ... زاره ذات مرة أحد شيوخ الزوايا ، فسأله سيدي بلـكبير : أتدرسون القرآن ؟ قال : لا ، إنما هي زاوية تبرك فقط ، فقال الشيخ رحمه الله : وهل تنزل البركة من غير القرآن ؟

درسوا القرآن ، درسوا القرآن ، درسوا القرآن ... كررها بلهجة إصرار وإلحاح ثلاثاً . مدرسة الشيخ العالم العلامة سيدي محمد بلـكبير جامعة من جامعات العلم التي لا يضاهيها في نشاطها سوى الأزهر الشريف ، أول ما يلفت الزائر إليها لباس الطلبة المعممين وقد ملئوا مسجد الشيخ وعليهم من الله السكينة .

قال الشيخ الحبيب المستاوي رحمه الله

حاجة المسلمين الى التوعية الصحيحة اولوية مطلقة

إن حاجة المسلمين في هذه الظروف إلى التوعية الصحيحة و الصقل المتواصل لا تقل عن حاجتهم إلى التقنية و الصناعة و العلوم ، بل هي أمس و أكد لأن كل شيء لدينا لا يبنـي على أساس من العقيدة و الفضيلة ينقلب خيره شرا و بناؤه تبـيرا و قد لمسنا في الشباب المسلم حيثما سنحت لنا ظروف الالتقاء به تعطشا و تفهما كبيرين يبشران بالغد الأفضل إذا ما تحرك المؤمنون بعيدا عن الغوغائية و الارتجال و إننا لمسؤولون أمام من أمدنا بالوسائل و الإمكانيات سبحانه و تعالى



## الشاعر الهندي الشهير غلام علي آزاد البلكرامي الملقب بحسان الهند

توفي سنة 1100 هـ - 1780 م

بقلم : الأستاذ صالح العود (فرنسا)

لَمَّا كُنْتُ فِي بِلَادِ الْهِنْدِ الشَّاسِعَةِ عَامَ ( 1396 هـ - 1936 م ) أَطْلُبُ عِلْمَ الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ تَحْدِيدًا، وَأَل\_اقِي كِبَارَ مُحَدِّثِيهِ، وَأَجْلِسُ إِلَيْهِمْ أَسْتَمِعُ وَأُسْتَجِيزُ، لَفَتَ انْتِبَاهِي يَوْمَئِذٍ، وَشَدَّ اهْتِمَامِي عَظْمَةُ أَحَدِ شُعْرَائِهَا الْأَبْرَارِ، وَرَجَالَاتِهَا الْأَخْيَارِ: وَهُوَ غِلَامُ عَلِي آزَادِ الْبَلْكَرَامِيِّ - نَسَبُهُ إِلَى بَلَدَةِ بَلْكَرَامٍ: مَسْقُطُ رَأْسِ أَجْدَادِهِ وَأَبَائِهِ، وَالْقَرِيبَةُ مِنْ مَدِينَةِ قَنُوجِ (عَلَى وَزْنِ سَنُورٍ). فَأَخَذْتُ أُبْحَثُ عَنْ حَيَاتِهِ، وَاتَّقَصَّيْتُ آثَارَهُ، حَتَّى مَنَّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيَّ بِالْوُقُوفِ مِنْهَا عَلَى الْغَزِيرِ فِي وَقْتٍ قَصِيرٍ..

كَانَ هَذَا الشَّاعِرُ الْعَمَلِاقُ وَالْمَرْمُوقُ فِي بِلَادِهِ، وَالْمَشْهُورُ بَيْنَ عُلَمَاءِ عَصْرِهِ غَايَةَ الشَّهْرَةِ، مَغْمُورًا عِنْدَنَا فِي أَوْسَاطِ الْمُتَقَفِّينَ فِي عَالَمِنَا الْعَرَبِيِّ الْوَاسِعِ، بَلْ مَجْهُولًا غَيْرَ مَعْرُوفٍ، حَتَّى قَالَ فِي ذَلِكَ الدَّكْتُورُ عَبْدِ الْمَقْصُودِ مُحَمَّدُ شَلْقَامِي: «لَمَّا كَانَ بَعِيدًا عَنْ بِلَادِ الْعَرَبِ، هِنْدِي الْمَنْشَأُ وَالْمَوْطِنُ وَاللِّسَانُ، فَانْهَ غَيْرُ مَعْرُوفٍ فِي الْأَدَبِ الْعَرَبِيِّ، وَلَوْ أَنَّهُ عَاشَ فِي بِلَادِ الْعَرَبِ، لَصَارَ رَائِدًا مِنْ طَرَاظِ الْبَارُودِيِّ». كَانَ هَذَا الشَّاعِرُ الْجَلِيلُ مِنْ خَيْرَةِ أَعْلَامِ الْهِنْدِ: فِي الْفَضْلِ.. وَالْعِلْمِ.. وَالزَّهْدِ.. وَيُحْكِي أَنَّ الْحَاكِمَ نِظَامَ الدَّوْلَةِ: نَاصِرَ جَنْكٍ، طَلَبَهُ لِلْإِمَارَةِ يَوْمًا، فَرَفُضَ وَأَبَى هَذَا الْمَنْصَبَ قَائِلًا: «إِنَّ هَذِهِ الدُّنْيَا: مِثْلُهَا كَمِثْلِ نَهْرِ طَالُوتَ، غُرْفَةٌ مِنْهَا حَلَالٌ، وَالزِّيَادَةُ عَلَيْهَا حَرَامٌ». فَخَلَّى سَبِيلَهُ يَشْتَغِلُ فِي ظِلَالِ دُوحَةِ الْعِلْمِ وَالشَّعْرِ وَكُفَى، وَرَحَابِ مَدْحِ الْمُصْطَفَى عَلَيْهِ وَآلِهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

حلاً مؤرخ الهند الكبير، والعلامة الشهير: عبد الحي الحسني بالقول: «لم يكن له نظير في زمانه، في النحو واللغة... والشعر والبديع.. والتاريخ والسير والأنساب».

ترك هذا الشاعر العظيم مجموعات عدّة من الدواوين، بلغت أبياتها أكثر من ثلاثين ألف بيتاً، وله منها (السبعة السيارة) صدرها كلها قائلاً: «إني نظمت سبعة دواوين في اللسان العربي، وسميتها ب (السبعة السيارة)، أكثرها في التغزل، وتوجت رأس كل ديوان بمدح النبي صلى الله عليه وسلم تيمناً» وعدد أبياتها أحد عشر ألفاً.

وكان رحمه الله قد خصّ الروضة النبوية الشريفة بقصائده المنيفة، كان يبعث بها من حين لآخر لتقرأ هناك على الملأ، لذلك لقّب ب (حسان الهند) لشبهه بالصحابي: حسان بن ثابت رضي الله عنه لكثرة مدحه إياه، حتى فاق شعراء عصر النبوة، ومن أطول قصائده: أرجوزة شجيرة في ثلاثة آلاف وخمسمائة بيت ..

ومن عجائب هذا الشاعر وغرائبه، أنه انشأ قصيدة عصماء، في وصف أعضاء المعشوقة الحسنة، بمعدل بيتين لكل عضو، وسمّاها: (مرآة الجمال)، وصلت أبياتها إلى خمسمائة، مطلعها:

بي ظبية من ابرق الجنان \* من مثلها في عالم الإمكان

شمس تباهي بالسنا أمة لها \* وكواكب أخرى من الغلمان

وأنا املك نسخة من الكتاب الذي حوى هذه القصيدة، والذي طبع طبعة حجرية مرّ عليها أكثر من مائة سنة، على ورق جدّ رقيق وشفاف وبألوان متعدّدة، والحمد لله.

## فضيلة الشيخ محمد الكامل سعادة الإمام بجامع الزيتونة وأحد رموز اسلام الساحة والوسطية

غادرنا أخيرا (14 جويلية 2021) الى دار البقاء فضيلة الشيخ محمد الكامل سعادة احد رموز المدرسة الزيتونية بعد مسيرة علمية وقضائية مباركة حرص فيها رحمه الله على ان يظل وفيا لكل خصوصياتها السنية المالكية الاشعرية الجندية التي نشأ عليها في احضان اسرة علمية وعلى ايدي من ادرتهم من البقية الباقية من شيوخ الزيتونة الاعلام (الذين لا يتسع المجال لذكر اسمائهم) والذين كان يكن لهم التقدير والاحترام وكان يحظى لديهم بالمكانة المتميزة. وعلى نهجهم القويم سار رحمه الله في كل ما بذله من جهود في التدريس والارشاد والخطابة والاحياء للمواسم الدينية. فقد خلف اخاه الشيخ عبد الوهاب سعادة رحمه الله في الاشراف على موكب ختم كتاب الشفا للقاضي عياض الذي ينتظم في المغارة الشاذلية اكثر من مرة في السنة. وكان الشيخ كمال سعادة رحمه الله واسكنه فرايس جنانه مثالا للخلق الرضي والسماحة والتواضع والقرب من مختلف فئات الشعب. وكان حريصا على استمرار الخصوصية الزيتونية للبلاد التونسية وتصدى في السنوات الاخيرة قدر جهده للتيارات المتطرفة المنكرة للسمات التي تميزت بها البلاد التونسية المتمثلة في الوسطية والاعتدال ونبد التعصب والتطرف والتشردم. وظل رحمه الله على ذلك الى اخريات حياته صحبة صفوة بررة من الشيوخ والائمة ممن يشاطرونه هذا التوجه الاصيل والذين يمثلون بحق الزيتونة بكل خصوصياتها ويعملون على تكريسها والمحافظة عليها بكل ما اوتوا من طاقة وجهد. وكان يمكن للشيخ محمد الكامل سعادة رحمه الله ومن معه لو اتيحت لهم الفرصة ولو مكنوا من الوسائل المادية والبشرية ان تكون ثمرة جهودهم اكبر اثرا في المجتمع التونسي بكل فئاته اذهم الاقرب اليه في تصوراتهم وسلوكياتهم وفي صادق حبهم واعتزازهم بالانتماء الى هذه الربوع من العالم العربي والاسلامي. ربوع الزيتونة المباركة كعبة الشمال الافريقي رمز الاصاله والمعاصرة ورمز الاجتهاد والتجديد ورمز التحرير والتنوير ورمز الحب للوطن (تونس) والتمسك بالاسلام الحنيف. رحم الله الشيخ محمد الكامل سعادة

رحمة واسعة واسكنه فرايس جنانه ورزق اهله وذويه وتلاميذه في جامع الزيتونة ورواد اختام القران واختام البخاري والشفاء ومواكب ذكرى المولد النبوي الشريف وما يتلى فيها من روائع القصائد وقصص المولد وكتب الشمائل المحمدية جميل الصبر والسلوان. وانا لله وانا اليه راجعون.

\*\*\*

## ماهي الحلول الكفيلة بعودة العصر الذهبي للزيتونة

\* جماعة الزيتونة اليوم تنكروا لخصوصيتها معتقدا ومذهبا وطريق سلوك ليجعلوها تروج لعقائد ومذاهب غريبة عن هذه الربوع كان الزيتونة واهل هذه الربوع كانوا على غير عقيدة صحيحة . وهؤلاء اليوم واولئك بالامس ممن يشترن بآيات الله ثمنا قليلا فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم. جاء ذلك على لسان أحدهم في تدوينه كتبها وختمها بسؤال : ماهي الحلول الكفيلة بعودة المنهج الزيتوني لأيام العصر الذهبي؟

جوابا على السؤال السابق أقول :

ذاك حديث يطول وباختصار شديد فيما ان شيوخ الزيتونة الذين يمكن ان يتصل بهم السند الزيتوني قد التحق اغلبهم بجوار ربهم او تقدمت بهم السن وقد كان يمكن الاستعانة بهم قبل مايقارب ربع قرن عند ما عيدت الزيتونة كجامعة وكان الكثير منهم لا يزال على قيد الحياة ولكن من كانوا يتحملون المسؤولية وقتذاك ابوا ورفضوا واليوم (وليس ذلك من السهل ولا من اليسير وهذا اذا صدقت النوايا والعزائم) فانه يمكن الاستعانة ببعض العلماء والشيوخ ممن هم على المنهج الزيتوني في الجنوب الجزائري (في ادرار) وفي الجنوب المغربي (في بلاد سوس) وفي بلاد (شنقيط) بـموريتانيا حيث لا يزال هناك علماء مثل علماء الزيتونة رحمهم الله بهؤلاء الشيوخ من تلك البلدان الشقيقة يمكن الاستعانة بهم كاساتذة زائرين - ولدى بعض هؤلاء الاستعداد لمد يد المساعدة لتونس وشعبها في دورات علمية لتدريس المنهج الزيتوني في علوم الوسائل والمقاصد من خلال الكتب التي كانت مقررة في جامع الزيتونة، وهكذا يمكننا وفي فترة من الزمن غير طويلة ان نعيد للزيتونة سندها العلمي الذي فقدته برحيل شيوخنا رحمهم الله لتستأنف الزيتونة القيام برسالته وتعيد لتونس اشعاعها. بشرط ان نجد استعدادا لدى بعض شبابنا ورغبة وعزيمة صادقة لديهم في ان



يكونوا خير خلف لخير سلف، ليس بالضرورة ان تكون اعداد هؤلاء بالمئات بل بضع عشرات وفي سنوات قليلة يتحقق لبلادنا بلاد الزيتونة ما نريده لها من خير باستئناف قيامها برسالتها العلمية الدينية المتميزة.

فهل من معين على تحقيق هذا الامل مادام في العمر بقية ؟ ارجو ان يجد هذا النداء صدى والعبد الضعيف على اتم الاستعداد للمساهمة فيه بكل ما اوتيت في تحقيق هذا الامل والعمل الخالص لوجه الله لا اريد من وراء ذلك جزاء ولا شكورا. ففي هذه المرحلة من العمر كل شيء وراء الظهر لانسال الله الا حسن الخاتمة اللهم امين.

كتبه محمد صلاح الدين المستاوي

صدرت عن دار احياء التراث الزيتوني للنشر والتوزيع عناوين التالية  
ضمن سلسلة (من التراث الزيتوني)

\* كتاب بغية المريد لجوهرة التوحيد تأليف العلامة ابراهيم المارغني تحقيق  
الشيخ فوزي بن تيشة والشيخ محمد اللجمي

\* كتاب مختصر الدر الثمين والموارد المعين المسمى بميارة الصغير للشيخ عبد  
الواحد بن عاشر تحقيق الشيخ فوزي بن تيشة

\* كتاب شرح الزرقاني على المنظومة البيقونية تأليف الشيخ ابي عبد الله محمد  
الزرقاني تحقيق الشيخ فوزي بن تيشة والشيخ محمد اللجمي.

\* كتاب الشذرات الذهبية على منظومة العقائد الشرنوبية تأليف الشيخ ابراهيم بن  
احمد المارغني تحقيق الشيخ فوزي بن تيشة.

\* كتاب ايصال السالك في اصول الامام مالك تأليف محمد يحيى بن عمر المختار  
الولائي تحقيق الشيخ فوزي بن تيشة والشيخ محمد اللجمي .

\* كتاب خلاصة القول في سيرة افضل رسول تأليف الشيخ حسين بن الخوجة  
تحقيق الشيخ فوزي بن تيشة والشيخ محمد اللجمي

\* كتاب تحقيق الامنية بمقدمات السنة النبوية تأليف الشيخ مصطفى القمودي  
تحقيق الشيخ فوزي بن تيشة والشيخ محمد اللجمي



## خطبة الجمعة

# اجتمع لسيدنا محمد ﷺ ما لم يجتمع لكل الأنبياء والمرسلين عليهم السلام

الحمد لله الذي خلق الانسان وفضل به بالاصغرين القلب واللسان. أحمدته على ما علم من البيان وأشكره على ما أولى من الاحسان وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له شهادة أرجو بها الفوز والامان وأشهد أن سيدنا محمدا رسوله المصطفى المفضل على سائر المخلوقات من الملائكة والجان صلى الله عليه وعلى آله الاطهار وأصحابه الابرار ما تعاقب الليل والنهار.

أما بعد ايها المسلمون أوصيكم ونفسي بتقوى الله سرّا وعلانية في الصغائر والكبائر فان ذلك هو ما أوصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث «اتق الله حيث ما كنت» فتلك هي علامة عدم الغفلة والاستعداد للرحيل إلى دار القرار هناك حيث إما الجنة أو النار وقانا ووقاكم الله من ورودها بمنه وكرمه وجوده ورحمته وإحسانه إنه أهل ذلك.

لا نزال أيها المؤمنون نتفياً ظلال هذا الشهر المبارك شهر ربيع الأول، شهر من افضل الشهور عند الله فقد شهد يوم الثاني عشر من ربيع الأول من عام الفيل مولد أكرم مخلوق من اصطفاه ربه ليكون خاتم الأنبياء والمرسلين عليهم من الله افضل الصلاة وأزكى التسليم، يوم مولده عليه الصلاة والسلام هو يوم عظيم وجب على من آمن به واتبعه أن يعظمه وان يقف عنده متدبراً معتبراً عملاً بقوله جل من قائل ﴿وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ﴾ يوم الثاني عشر من ربيع الأول هو لا شك يوم من أيام الله انبلج به فجر عهد جديد أخرج الله به الناس من عبادة الاوثان والأصنام ومن الشرك إلى عبادة الله الواحد القهار الأول والآخر الذي هو على كل شيء قدير ومن جور الاديان المحرفة إلى عدل الإسلام ومن الظلام إلى النور ومن الضيق إلى السعة ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا﴾.

وبهذا الاعتبار فان سيدنا محمدا عليه الصلاة والسلام وبالهدي الذي جاء به من عند الله هو منقذ الانسانية جمعاء هو رحمة الله المهداة مصداقا لقوله جل من قائل ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾.

فأي يوم أعظم من يوم ميلاده عليه الصلاة والسلام؟ كل الأيام الأخرى المجيدة العظيمة يوم البعثة ويوم الإسراء ويوم الهجرة ويوم الفتح ويوم إعلان كمال الدين وتماحه كلها أيام عظيمة وكلها من الأيام التي ورد الأمر بالتذكير بها والذكرى تنفع المؤمنين ﴿وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ﴾ كل هذه الأيام المباركة جاءت بعد يوم مولده عليه الصلاة والسلام.

وإذا كان يوم عيد الفطر ويوم عيد الاضحى هما يوما الفرحه والسرور بتوفيق الله وعونه على الطاعة وتفضله بالهداية فان يوم مولد رسول الله وشهر مولده هو لا شك جدير بان يكون يوم فرحة وشهر فرحة بهذه النعمة العظمى والمنة الإلهية الكبرى والى ذلك ارشد رسول الله صلى الله عليه وسلم صاحبه الذي جاء يستأذنه في صيام يوم الاثنين قال له (صمه ذلك يوم وُلدت فيه وبُعِثت فيه).

يقول جل من قائل ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ وفضل الله هو كتاب الله العزيز ورحمته هو سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام. أليس الواحد منا يفرح إذا وُلد له مولود؟ فيقيم الولائم وييدي السرور؟ أليس الواحد منا يفرح بنجاح ابنه أو ابنته ويعبر عن الفرحه بكل وسيلة؟ أليس الواحد يفرح بترقية في سلم وظيفته؟ أليس الواحد منا يفرح بمسكن أو مركب يقتنيه؟

حق لنا إذا أن نفرح بكل ذلك والله تبارك وتعالى يحب أن يرى أثر نعمته على عبده وان يشكر الله على ذلك ليزيده ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ ماذا يساوي كل ما ذكرت وما لم أذكر بالنسبة لنعمة الله علينا بأن جعلنا من أمة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام وهي نعمة ذكرنا الله بها في كتابه العزيز في عديد الآيات ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.

خاطب الله رسوله الكريم في سورة الفتح فقال له ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ قال القاضي عياض رحمه الله في كتاب الشفا (تضمنت هذه الآيات من فضله ونعمته لديه ما يقصر الوصف عن الانتهاء إليه، فقد محاسنه وخصائصه ومن شهادته على أمته لنفسه بتبليغه الرسالة لهم). يقول القاضي عياض (فاعلم نور الله قلبي وقلبك وضاعف في هذا النبي الكريم حُبِّي وحُبَّك انك إذا نظرت إلى خصال الكمال التي هي غير مكتسبة: وجدته حائزا صلى الله عليه وسلم على جميعها محيطا بشتات محاسنها).

وهو ما لم يجتمع لغيره من الأنبياء والمرسلين عليهم السلام وقد جمع سلطان العلماء عز الدين بن عبد السلام رحمه الله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما يزيد على أربعين فضيلة.

أولها انه ساد كل بني آدم فقال عليه الصلاة والسلام فيما أخرجه الإمام مسلم (أنا سيّد ولد آدم ولا فخر) والسيد من اتصف بالصفات العلية والأخلاق السنية.

وقد أراد عليه الصلاة والسلام أن يقطع وهم من توهم من الجهلة انه ذكر ذلك افتخارا فقال (ولا فخر) ومنها قوله (ويدي لواء الحمد يوم القيامة) أخرجه الترمذي.

-وما من نبي يومئذ: آدم فمن دونه إلا تحت لوائي يوم القيامة ولا فخر، الترمذي

-ومنها أن الله عز وجل أخبره بانه قد غفر له ما تقدّم من ذنبه وما تأخر ولم ينقل انه اخبر أحدا من الأنبياء بمثل ذلك.

-ومنها انه أول شافع وأول مشفع

-ومنها ايثاره صلى الله عليه وسلم بدعوته اذ جعل لكل نبي دعوة مستجابة فكل منهم تعجل دعوته في الدنيا واختبا هو عليه الصلاة والسلام دعوته شفاعة لأُمَّته

- ومنها أن الله أقسم بحياته في قوله تعالى ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ وذلك يدل على شرفه ومنزلته عند ربه.

-ومنها أن الله تعالى وقره في ندائه فداده بأحب أسمائه وأسنى أوصافه فقال ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ ﴿يَا أَيُّهَا الْمُرْمَلُ﴾ ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ وهذه الخصيصة لم تثبت لغيره بل ثبت أن الله نادى الأنبياء بأسمائهم ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ ﴿يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ﴾ ﴿يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ﴾ ﴿يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا﴾ ﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾ ﴿يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا﴾ ﴿يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ﴾ ﴿يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى﴾ ﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾.

- ومنها أن معجزة كل نبي انقضت ومعجزة سيدنا محمد باقية إلى يوم الدين ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾.

-ومنها تسليم الحجر عليه وحنين الجذع إليه ولم يثبت ذلك لواحد من الأنبياء الذين سبقوه.

-ومنها تفجر الماء من بين أصابعه فانه ابلغ في خرق العادة من تفجره من الحجر

لأن جنس الأحجار يتفجر منه الماء (مثلما وقع لسيدنا موسى عليه السلام من انفجار الحجر ماء) .

-ومنها أن عيسى عليه السلام أبرأ الأكمه والابرص مع بقاءه عليه في مكانه ورسول الله صلى الله عليه وسلم (ردّ العين بعد أن سألت على الخدّ) (عين سيدنا قتادة رضي الله عنه) .

-ومنها أن الأموات الذين أحياهم من الكفر بالإيمان أكثر عددا ممن أحياهم سيدنا عيسى حياة الأبدان .

-ومنها أن الله عزّ وجلّ أرسل كل نبي إلى قومه خاصة وأرسل سيدنا محمدا إلى الجن والإنس .

-ومنها أن الله كلّم موسى بالطور وبالوادي المقدس وكلّم نبينا عند سدرة المنتهى ليلة الإسراء والمعراج .

-ومنها الكوثر الذي اعطيه في الجنة ومنها أن الله أثنى على خلقه فقال مخاطبا رسوله عليه الصلاة والسلام ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ .

-ومنها لينه ورحمته ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ﴾ .

-ومنها حرصه على أمته ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ .

-ومنها عصمة أمته (لا تجتمع امتي على ضلالة) .

ختم سلطان العلماء العزّ بن عبد السلام رضي الله عنه هذه الخصائص التي تجاوزت الأربعين التي فضل الله بها سيدنا محمدا عليه الصلاة والسلام على كل الأنبياء والمرسلين والتي أوردنا بعضها وهي مبسوبة مبثوثة في كتب السيرة والشمائل وأدق من عنى بها القاضي عياض في كتابه المبارك (الشفّا بتعريف حقوق المصطفى) فقال (فهذه لمع وإشارات يكتفي العاقل الفطن بمثلها بل ببعضها ونحن نسأل الله تعالى بمنه وكرمه أن يوفقنا لاتباع رسوله في سنته وطريقته وجميع أخلاقه الظاهرة والباطنة وان يجعلنا من أحزابه وأنصاره بمنه وكرمه وصلى الله على سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه وأزواجه وسلم تسليما كثيرا آمين آمين) .

\* خطبة الجمعة ألقاها الشيخ محمد صلاح الدين المستاوي بالمركب الإسلامي البحيرة - تونس .



## نبذة تاريخية للتعريف بالمكتبة البارونية

إعداد وتقديم: سعيد بن يوسف الباروني<sup>(1)</sup>



المقرّ الجديد للمكتبة البارونية الذي شيده سعيد بن يوسف الباروني سنة 2016  
بحومة السوق جربة

(1) حافظ المكتبة البارونية وباحث في التراث



ظلت جزيرة جربة لقرون طويلة موطناً أساسياً للمدرسة الإباضية بشمال إفريقيا، ومركزاً مُشعاً لفكرها، فقد نشطت في حضنها أجيال متعاقبة من مشايخ العلم وطلبتها منهم أصيلو الجزيرة، ومنهم نزلاؤها ممن استهوتهم فاستقروا بها ليصنعوا تاريخها ويتركوا آثارهم بها، ولا ريب أن أهم تلك الآثار مواضع النشاط العلمي ومقارؤه، وهي تلکم الجوامع المنتشرة في ربوعها، ومدارسها التي كانت بجوارها، ولعل أولها وجوداً وذكرًا الجامع الكبير أو جامع بومسور ومدرسته، ومنه مرّ كبار علماء الجزيرة ومشايخها، وكان من بينهم علماء العائلة البارونية، آخر من نشط به وترك ذكره خالداً، فقد أناروا الجامع بعلمهم، واتخذوا من جواره مستقراً لهم ومقاماً، ولا يزال «منزل الباروني» شاهداً عامراً، ولا يزال إشعاع حركتهم متواصلاً، صادراً من أثرهم الحيّ المكتبة البارونية، فقد خلفوها عامرة ثرية، مقصداً لأرباب العلم ومورداً لطلابه.

تذكر المصادر التي كتبت عن المكتبة البارونية أن منشئها هو الشيخ سعيد بن عيسى بن يعقوب البروني الفساطوي، الذي قديم إلى الجامع الكبير شيخاً، ونشط حلقات العلم فيه ما يربو على أربعة عقود، وترك من ورائه مكتبة؛ ليتعاقب عليها خلفه من العائلة من بعده ويهتموا بها. والمطلع على المكتبة يقف على الحجم المعتبر من الكتب التي تحتفظ بها الآن، وهو جزء مما كانت تحويه سابقاً؛ فلا ريب في تسرب الكتب منها مع مرور الزمن لأسباب أو لأخرى، وهذا ما صرح به أرباب المكتبة والقائمون عليها؛ فذكروا أنها بحكم الميراث تفرقت قطعاً، وقد تيسر من بعد ذلك تجميع بعضها، وإعادته إلى أصله في المكتبة، وبقي نصيب يخرم المكتبة ويعوزها.

كما أن للظروف التي كانت المكتبة محفوظة فيها دوراً ما في تدهور حالها كذلك؛ إذ كانت مودعة في دار السكن لآل الباروني، وهي بناية غير بعيدة عن الجامع الكبير، وتعود إلى بداية ق 19م، في وضع يعسر التعامل معها، وقد يعطل الانتفاع بها، وظلت المكتبة على هذه الحال عقوداً، إلى أن شيد لها الشيخ يوسف بن امحمد الباروني محلاً مستقلاً خاصاً بها، لاثقاً بنشاطها، وكان ذلك سنة 1386هـ / 1966م، وهو بجوار سكن العائلة.

استعان الشيخ يوسف بابنه سعيد حافظ المكتبة الحالي لوضع فهرس جردّي ورقّي للمكتبة لحصر محتوياتها سنة 1964<sup>(1)</sup>، ومع نهاية الثمانينات من القرن العشرين تحرّكت همّة الأستاذ سعيد بن يوسف لإعادة فهرستها، بداية من سنة 1989م إلى

(1) وهو عبارة عن كراسٍ كُتب بخط اليد، ما تزال المكتبة تحتفظ به.

شهر نوفمبر 1992م، الموافق لـ: 25 جمادى الأولى 1413هـ ، بالتعاون مع دار الكتب الوطنية وبيت الحكمة بتونس وجمعية صيانة جزيرة جربة ، وهي فهرسة فنية، وفق مطالب محدّدة، تُطلب مع كلّ عنوانٍ لنُسخ المخطوط في المكتبة، وقد شملت هذه الفهرسة مخطوطات المكتبة كلّها.



المقرّ القديم للمكتبة الذي شيده يوسف بن أمحمد الباروني سنة 1966 بحومة الحشان بجربة

ولئن ذكرت المصادر أنّ مؤسّس المكتبة هو الشّيخ سعيد بن عيسى الباروني، وأنّ نواتها كتّبه التي جلبها معه من مصر بعد تلقّيه العلم بها؛ فإنّ نظرة فاحصة لمحتويات المكتبة، وقراءة متأنّية لمضامينها تقدّم تصوّراً أوضح عنها، وترسم صورة شاملة لها؛ ترصد منشئها وتبيّن مصادرها.

لا تحتفظ المكتبة بوثيقة مخطوطة تتحدّث عن تاريخها، أو تقييدٍ مستقلّ يحدّد مصادرها، أو يُشير إلى انتقال مجموعة كتب أو ضمّها إليها جملة، بصورة أو بأخرى كميراثٍ أو هبة أو شراءٍ لرصيد، ولم نعرث فيها على فهارس تحصر محتوياتها في عهودها الأولى، وإن كانت القرائن توحى بوجودها، وهذا يدفعنا إلى محاولة استنتاج



ذلك من خلال الإحاطة بالتقييدات الموثقة في ثنايا الأوعية، داخل المكتبة وتتبع مظان وجودها، وأهم وسيلة في ذلك هي ضبط خطوط المشايخ، أرباب المكتبة وتمييزها أساساً، ثم خطوط غيرهم ممن له علاقة بهم وكتبهم؛ فهذه الأداة تمكّننا من ترتيب التقييدات زمنياً، وربط بعضها ببعض، ومن ثمة الوصول إلى قراءة لها.

إذا ما نظرنا إلى الآثار في المكتبة؛ فالشخصية الأكثر حضوراً فيها والأبرز، هو الشيخ سعيد بن عيسى الباروني، وقد مرّ في حياته على ثلاثة مواطن: جبل نفوسة مسقط رأسه، القاهرة معهد تكوينه، جربة محلّ عطائه وموضع استقراره، وتجلّى هذا في كتبه؛ فأول منسوخ له بخطه كتاب شرح النونية للويراني، نسخه في جمادى الأولى 1205 هـ / 1791 م<sup>(1)</sup>، وهذا يعني قبل حوالي ثمانين عاماً من وفاته، وكان يشير في منسوخاته الأولى إلى أنّه «فساطوي مسكنا»<sup>(2)</sup> أو جادوي<sup>(3)</sup>.

فكُنّب هذه الفترة من عمره تبدو هي نواة مكتبته ومنطلقها في شبابه، ثم تأتي بعدها منسوخاته في مصر، وتحديدًا في وكالة الجاموس، بداية من سنة 1213 هـ / 1798 م؛ لتتجمّع لديه مدّة إقامته هناك، وقد دامت حوالي عشرين سنة، وكان إلى جانب ذلك يجمع ما تيسر له تملكه من كتب، جادت به عليه القاهرة الحاضرة العلمية، علماً أنّ ثلثي مكتبته الآن، وهي كتب في فنون العلم المختلفة، تتميز بطابعها الخاص، وبخطها المشرقيّ (كتب مشرقية)، وفيها نجد تملكته الموحّدة تقريباً «ملك سعيد البروني الأزهرى»، ولعلّه قد قيدها بعد استقراره شيخاً في الجامع الكبير بجربة؛ ليسهل تمييزها عن غيرها من الكتب، في هذا المنبر العلميّ النشط.

(1) ينظر: شرح النونية، برقم: 35 في المكتبة، خاتمة النّاسخ.

(2) ينظر: حاشية الوضع، برقم: 118 في المكتبة، الخاتمة. أيضاً: رسالة إلى الشّريف إسماعيل، برقم: 229 في المكتبة، خاتمة النّاسخ.

(3) ينظر: حاشية الشّفعة من الإيضاح وغيرها، برقم: 193 في المكتبة، خاتمة النّاسخ.



### مجموعات كتب أخرى كانت مصدراً للمكتبة:

تذكر المصادر أنَّ الشَّيْخَ سعيد البروني نَمَّى مكتبته «بشرائه مجموعة من الكتب من مكتبة الشَّيْخ موسى بن علي الباروني النَّفُوسِي»<sup>(1)</sup>، وفي المكتبة كتابان، فيهما تقييد شرائهما بخطَّ الشَّيْخ سعيد الباروني، بعد وفاة الشَّيْخ المذكور -وهو صهر له كما نعتقد- وذلك سنة 1234 هـ/ 1819 م<sup>(2)</sup>، كما أنَّ فيها 3 كتب من نسخه، بين سنة 1217 و1220 هـ/ 1802 و1805 م<sup>(3)</sup>. وثمة كتبٌ أخرى وعددها 6؛ تعود ملكيتها لوالد هذا الشَّيْخ، وهو الشَّيْخ علي بن موسى بن علي الباروني، أو لورثته، وكتب أخرى من نسخه،

(1) ينظر: إبحار الباحثين في تاريخ الجربيين مخطوط ليوسف الباروني، ص 115.

(2) ينظر: أجوبة أغلبها في المعاملات، برقم: 250 في المكتبة، 1 و. وكتاب آخر في خزائن كتب غير الإباضية بالمكتبة.

(3) ينظر: الدليل والبرهان، برقم: 265 في المكتبة. والمختصر، برقم: 163. وكذا: منهج الطالبين وبلاغ الراغبين، برقم: 101.

وعدها 16 كتابا، نسخها بين سنة: 1175 و 1180هـ/ 1762 و 1767م، وقد تداولتها أيدي أبناء الشيخ سعيد الباروني على سبيل العارية.



أما بالنسبة لمؤسس المكتبة وذريته المشايخ؛ فيمكن أن نلخص مجموعات كتبهم، كالآتي:

الشيخ	عدد الكتب فيها تمليكه	عدد الكتب التي نسخها	عدد الكتب المنسوخة له
سعيد بن عيسى الباروني	70	47	2
علي بن سعيد بن عيسى	30	اشترك في نسخ 3	5
يوسف بن علي بن سعيد	4	2	1

والملاحظ أنّ الشيخ علي بن سعيد أثري المكتبة من بعد أبيه؛ ففي نصف الكتب التي امتلكها تقريباً نجد فيها تقييدات شرائها، وبعضها كانت على سبيل الإعارة ثم اشتراها، ونجد تقييداً له في صغر سنّه - فيما يبدو - يقول فيه: « اشتريت هذا الكتاب وبه خرم عشر كرايس، ثم ظفرت بها بعينها فاشتريتها ووضعتها فيه، فالآن حصل للكتاب التمام، وحصل لي الفرح والسرور، راجيا حسن الختام ». أما الشيخ يوسف بن علي، فلا ريب أنّ الكتاب المطبوع بدأ ينتشر في عهده، ويحلّ على رفوف المكتبات محلّ المخطوط.

هذا ما يمكن قوله عن المكتبة البارونية من حيث نشأتها وأربابها ومصادر كتبها، وبعض التفاصيل في ذلك، وكذا علاقتها ببعض مشايخ العلم، وبعض ملامحها العامة.



« مجمع أجوبة » نسخاً معيد البروني، بفاسكو، في شبابه سنة 1207 هـ / 1793 م  
وختماً بأبيات شعرية في نسخ الكتب والاهتمام بالعلم



## وثيقة التعاون والتكامل الإفتائي<sup>(1)</sup>

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله، وآله وصحبه ومن والاه، وبعدُ:  
فمنذ ارتبطت بلدان العالم بعضها ببعض في علاقات دولية، وأعراف متفق عليها،  
وارتبط أقصى الأرض بأدناها في علاقات متشابكة مبنها حسنُ الجوار، وأصبح  
العالم قرية صغيرة، تُحدّثُ كلَّ يوم أخبارها، فتتراءى لسائر المعمورة؛ حيث لم يعد  
بوسع فرد أن يعيش بمعزل عن غيره، وتؤكد للجميع صحة دعوة الأديان إلى مراعاة  
الإنسان لأخيه، فيحب له ما يحبه لنفسه، ويكره له ما يكرهه لنفسه، فنكون جميعاً في  
القضايا المشتركة كالجسد الواحد الذي إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائر الجسد  
بالسهر والحُمى؛ ومن ثمّ؛ اشتدت حاجة كل إنسان إلى أخيه ليدعمه على المستويات  
كافة، حتى يصح بنيان الله في الأرض، وتتم رسالة العمران التي استخلفنا الله لأجلها.  
وإذا كان التعاون قد أضحي فرضاً لازماً على المستوى العالمي -مع اختلاف  
المشارب والأهداف والأدوار- فلا شك أنه يصبح أكثر لزوماً على مستوى المؤسسات  
متشابهة الأدوار، متفقة الأهداف، وخاصةً ما يرتبط دورها بقناعات المجتمع الدينية  
المنعكسة على حر كاته الدنيوية، ومنها مؤسسات الفتوى؛ فإنها الأولى بتبني مسارات  
التعاون والتكامل فيما بينها في سائر جوانب اهتماماتها، وترجمة ذلك إلى إجراءات  
عملية وسلوكيات مفصّلة.

(1) صدرت عن المؤتمر السادس للأمانة العامة لدور ووهيئات الافتاء في العالم (القاهرة 2 و3 أوت



ومن توفيق الله تعالى أن قبض الأمانة العامة لدور وهيئات الإفتاء في العالم لتقوم بدورها في جمع المؤسسات الإفتائية تحت مظلتها، وكتب القبول والذوب لسائر وثائقها التي مثلت محور رسالتها، بعد أن لاقت الاستحسان على المستويين الرسمي والشعبي.

وتأسيساً على ذلك، وفي سياق المؤتمر السادس للأمانة العامة لدور وهيئات الإفتاء في العالم، المنعقد بعنوان: «مؤسسات الفتوى في العصر الرقمي.. تحديات التطوير وآليات التعاون»؛ تصدر الأمانة العامة لدور وهيئات الإفتاء في العالم «وثيقة التعاون والتكامل الإفتائي» مشتملة على: دياجة، ومفاهيم، وقيم، ومبادئ، وبنود. على النحو التالي:

أولاً: الدياجة:

تحقيقاً لرسالة الأمانة العامة لدور وهيئات الإفتاء في العالم وأهدافها، واستكمالاً لما أصدرته الأمانة من موثيق - ك «إعلان القاهرة»، و «الميثاق العالمي للفتوى»، و «وثيقة التسامح الفقهي والإفتائي»؛ دفعاً بمجال الإفتاء نحو القيام بدوره في حل مشكلات العالم الإسلامي أصالةً، والمشكلات الإنسانية بصفة عامة - تُضيف الأمانة إلى مبادراتها هذا الإصدار النوعي: «وثيقة التعاون والتكامل الإفتائي»؛ مستهدفين بها: أولاً: تبادل الخبرات، والتجارب بين المؤسسات الإفتائية حول العالم.

ثانياً: استثمار الاختلاف الثقافي بين المؤسسات الإفتائية لصالح مجال الإفتاء. ثالثاً: استثمار التقدم التكنولوجي والرقمي الذي توصل إليه العالم في مجالاته المختلفة، وعلى رأسها التواصل والتعاون بين مؤسسات الفتوى.

رابعاً: استثمار العلاقة التي تربط بين مؤسسات الفتوى، وبين المؤسسات ذات الأهداف والرسائل المتشابهة.

خامساً: إبراز أهم مجالات التعاون والتكامل بين مؤسسات الفتوى.

سادساً: الإشارة إلى ضوابط التكامل بين دور وهيئات الإفتاء.

\*\*\*

ثانياً: المفاهيم:

المصطلحات والألفاظ الواردة في هذه الوثيقة يُقصد بها ما يلي:  
- «التعاون»: هو تكليف إلهي، وقيمة خلقية، ووسيلة إجرائية تعكس مساعدة الخلق بعضهم البعض؛ للوصول للحقِّ علماً وعملاً.

- «التكامل»: هو السُّنَّةُ الإلهية التي يمثلها التعاون بين عدة أطراف؛ لتحقيق أهدافٍ مشتركة عبر تركيز كلٍّ منها على القيام بدورٍ محددٍ، بحيث يحقق مجموعُ الأدوار عمومَ الأهداف.

- «الفتوى»: تبينُ الحكم الشرعي لمن سأل عنه فيما نزل به من وقائع وأُمُور، أو فيما أُشكِلَ عليه من أحكام الشرع.

- «المؤسسة الإفتائية»: هيئةٌ مستقلةٌ أو تابعة لكيان أكبر، خِدْمِيَّةٌ، معتمدةٌ محلياً أو إقليمياً، تقدم خدمات إفتائية.

- «المتصدّر للفتوى»: مَنْ يقوم بعملية الإفتاء في المؤسسات الإفتائية المعتمدة.

- «الأمانة»: الأمانة العامة لدُور وهيئات الإفتاء في العالم.

\*\*\*

ثالثاً: القِيَم:

تصدّر الوثيقة عن مجموعة من القِيَم السارية في مبادئها وبنودها، والقِيَم الحاكمة التي صدر عنها من قبل: «الميثاق العالمي للفتوى»، و«وثيقة التسامح الفقهي والإفتائي»، وهذه القيم منظومة تعمل جملة واحدة، وتُرتَّب أولوياتها بحسب الحال، والزمان، والمكان، والأشخاص، وتختص القيم التالية بمزيد الصلة بموضوع الوثيقة:

\* التعاون:

وهي القيمة الأم لهذه الوثيقة.

وقد أمر الله تعالى بالتعاون على البر والتقوى؛ فقال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [المائدة: 2]. فأعدل الناس هو من يستعين ويُعين، والعلم رَحِمٌ بين أهله.

والسبيلُ إلى تفعيل التعاون هو المشاركة الإيجابية الفعالة، التي تحقق رفع مستوى الأداء الفردي والمؤسسي؛ وذلك عبر طرق عدة؛ لعل من أهمها:

- دعمُ الطرف الذي يشارك في ذات الأهداف، والقائم بذات الأدوار التي يقوم بها الطرف الداعم؛ وذلك الدعم يكون بالتعاون معه في مواجهة التحديات، وإزالة العقبات، ودحض الشبهات عنه.

- ومنها: توسيعُ آفاق العمل الجماعي على أساسٍ تتحقق به المقاصد الشرعية والوطنية والإنسانية.

- ومنها: التعاونُ في القضايا المشتركة؛ عبر توزيع المهام، والاستفادة بالميزات النوعية؛ تحقيقاً للتكامل المؤسسي.

## \* المسؤولية:

وتستدعي هذه القيمة تعميق مفاهيم الإفتاء، وتحقيق إجراءاته وضبطها، وحفظ تراثه وحسن استيعابه، وتحديد ما يُعتمد منه في عصرنا وما يُدخر، واستثمار ذلك كله في الرقي الإنساني، والسعي لمواجهة التحديات، ومكافحة التعصب والتطرف، والعمل على دعم الاستقرار، ونشر الأمن على كافة المستويات.

## \* التخصصية:

وتستدعي هذه القيمة اعتماد الوسائل العلمية الناجحة في إدارة الموارد البشرية والموارد المادية والبيئة الإفتائية في دور وهيئات الإفتاء، والتدريب على ذلك، والاستفادة من المؤهلين في هذا المجال، ومن سابقة التجارب.

## \* الحفاظ على الهوية:

وتستدعي هذه القيمة الانتفاع بالمشاركين بين دور الإفتاء وهيئاته من جانب، وبينها وبين الرسائل المتقاربة والمتشابهة من جانب آخر، مع صون القيم الإسلامية والحضارية.

## \* احترام الخصوصية:

وتستدعي هذه القيمة اعتبار التنوع في سياسات المؤسسات الإفتائية؛ طبقاً للتنوع المنهجي والثقافي والتاريخي للمتصدرين للفتوى، وتنوع بيئات وأحوال المستفتين المستهدفين، وإذكاء الولاء للأوطان والمجتمعات والهويات.

\*\*\*

## رابعاً: المبادئ:

تؤسس هذه الوثيقة لمبادئ التعاون والتكامل الإفتائي، وهي:

1 - التعاون الإفتائي هو من باب التعاون على البر والتقوى، الذي ورد الأمر به في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: 2].

2 - التكامل سنة إلهية، يُرشد إليها العقل، ويُظهر أهميتها الواقعية، أرشدت الشريعة إلى العمل بها في نصوص القرآن الكريم، وسنة النبي صلى الله عليه وسلم، والفعالية منها بخاصة.

3 - التكامل سمة تُمكن من الارتقاء الحضاري، وأحد وسائل الأمن الفكري والنفسي والاجتماعي والسياسي.

4 - التعاون والتكامل اليوم أشد ضرورة في العالم المعاصر، الذي يشهد نجاح التكتلات ذات المصالح المشتركة.



- 5 - التعاون لا يقتصر على جهةٍ أو جماعةٍ ذاتِ اعتقادٍ واحدٍ أو اتجاهٍ واحدٍ؛ بل هو بابٌ واسع، يجمع أصحاب الهدف الواحد في إطار مجموعة من الضوابط.
- 6 - التعاون والتكامل مصلحة منشودة، وضرورة لنجاح المؤسسات الإفتائية، ووصولها إلى هدفها المنشود.
- 7 - التعاون والتكامل لا يتعارضان مع التنافس المحمود؛ سعيًا لتحقيق الرسالة الإفتائية والأهداف المنشودة، وتنفيذ الآليات والإجراءات الموضوعية.
- 8 - المؤسسات الإفتائية تجمعها رسالة واحدة، تنبع من دورها في تحقيق متطلبات المستفتين أفرادًا ومجتمعًا، وتختص كل مؤسسة بسياقٍ ثقافيٍّ وحضاريٍّ لا تعارضُ بينه وبين التعاون والتكامل.
- 9 - مجالات التعاون الإفتائي بين المؤسسات الإفتائية متنوعة وعديدة.
- 10 - التطور الرقمي يمثل إحدى أهم فرص تحقيق التعاون الإفتائي.
- 11 - التشبيك الإفتائي بآليات الإدارة من فرص التعاون الإفتائي المعاصر التي يجب أن تُستغل.
- 12 - تبادل الخبرات من واجبات المؤسسات الإفتائية.
- 13 - التعليم المستمر، والتدريب المتواصل من أهم مجالات التعاون الإفتائي المثمر.
- 14 - المتفق عليه فقهاً أو إفتاءً مجالٌ مهيأٌ للتفاعل والتعاون في المحتوى الفقهي والإفتائي.
- 15 - التعاون الفقهي والإفتائي من أنجع الوسائل لتحقيق التسامح الحضاري المنشود.
- 16 - الاختلاف الفقهي والحضاري الرشيد لا يحول دون التعاون والتكامل، بل يستدعيه ويستوجبه.
- 17 - مؤسسات الإفتاء في العالم وهيئاته مراكز للحوار بين الدول والحضارات.
- 18 - الأقليات المسلمة محل عناية؛ لذا تختص بمزيد من التعاون والتكامل النوعي بين مؤسسات الإفتاء.
- 19 - جهات الفتوى في المراكز الإسلامية الوسطية في البلاد ذات الأقليات المسلمة مسئولة عن التواصل والتعاون مع غيرها من مؤسسات الفتوى؛ لأداء رسالتها بدعم المسلمين في بلادهم.
- 20 - الاستغلال الحزبي والسياسي يُفسد التعاون بين مؤسسات الإفتاء.

خامساً: البنود:

نحن - الموقعين على هذه الوثيقة - نعلن أنه قد تم الاتفاق فيما بيننا على ما يلي:  
مادة 1: ما سبق من الديباجة، والمفاهيم، والقيم، والمبادئ جزء لا يتجزأ من هذه الوثيقة.

## الباب الأول

### نطاق ومجالات التعاون والتكامل

مادة 2: تعزيز أواصر التعاون العلمي والإداري والتكنولوجي بين أعضاء الأمانة بعضهم البعض، وبين الأمانة وسائر المؤسسات المعنية.

مادة 3: دعم التعاون في كل ما يخدم مجال الإفتاء على المستوى المعرفي، والإجرائي، والعلاقات البينية التي تجمع بين مؤسسات الإفتاء بعضها البعض، وبينها وبين المؤسسات الوطنية والدولية.

مادة 4: مدُّ مظلة التعاون الإفتائي لتشمل المفتي والمستفتي على السواء.

مادة 5: فتح مجالات التعاون بين المتصدرين للفتوى في أرجاء المعمورة.

مادة 6: خدمة التراث الفقهي والإفتائي؛ بتقديمه تقديمًا أمينًا خاليًا من العبث والتحريف، مع الالتزام بالبيان والجواب الكافي عن مناسبات تَمَسُّك جماعات التشدد والإرهاب بطائفة من هذا التراث، هذا التمسُّك النابع من الجهل بمجالات تغير الفتوى، وضوابطها.

مادة 7: اتخاذ الإجراءات اللازمة لدعم التعاون على النطاق البحثي.

مادة 8: خدمة قضايا التعاون العالمي، والهموم الإنسانية المشتركة عمومًا، ونخصُّ منها ما يلي:

\*الجوائح العالمية بمختلف أشكالها.

\*مشكلات الاحتباس الحراري، وما نجم عنها من أضرار.

\*مشكلات قضايا البيئة، والتدابير اللازمة لمعالجتها.

\*مشكلات المياه وقضاياها، والتدابير اللازمة لتوزيعها التوزيع العادل، والانتفاع

بها.

\*مشكلات الكراهية وجرائمها، وما نجم عنها من أضرار.

\*القضية الفلسطينية، وفي القلب منها قضية القدس الشريف.

مادة 9: اتخاذ الإجراءات اللازمة لدعم التعاون على النطاق الإعلامي.

مادة 10: اتخاذ الإجراءات اللازمة لدعم التعاون الإفتائي على النطاق المجتمعي.

مادة 11: وضع مبادئ ونطاق وآليات للفتوى الجماعية.

## الباب الثاني

### آليات التعاون والتكامل

مادة 12: العمل على إبرام مذكرات التفاهم، وورقات العمل البينية، وبرتوكولات التعاون؛ لخدمة مجال الفتوى والإفتاء فيما بيننا، وكذلك مع المؤسسات المعنية.

مادة 13: وضع الآليات للتعاون في تطوير المؤسسات الإفتائية على جميع المستويات؛ التكنولوجية، والإدارية، وتبادل الرؤى والاقتراحات حول سبل هذا التطوير وإجراءاته.

مادة 14: الاستفادة من التحوّل الرقمي العالمي على مستوى إدارة المؤسسات والهيئات الإفتائية، وعلى مستوى التواصل مع المواطنين، وعلى مستوى التواصل بين أعضاء الأمانة؛ بإقامة اتصالات منتظمة بينها.

مادة 15: استحداث آلية عالمية لتوعية المستفتي بما يتعلق بالعملية الإفتائية، وبخاصة إدراك خصوصية الفتوى وتخصيصيتها.

مادة 16: تأسيس إجراءات مناسبة لتعميم ثقافة الاستفتاء الرشيد.

مادة 17: تبادل المعلومات المسموحة ووسائل الوصول إليها.

مادة 18: تبادل الاستشارات العلمية والفنية.

مادة 19: التعاون التدريبي من خلال تنفيذ البرامج التدريبية برعاية الأمانة لمختلف المتدربين ولأهداف التدريب المتنوعة؛ الإفتائية، والإدارية، والرقمية.

مادة 20: تخصيص المزيد من برامج التعليم والتدريب على العمل الجماعي، والانتفاع بالتجارب الناجحة فيه من مختلف التخصصات، ومن كافة الجهات.

مادة 21: إقامة الأنشطة التعليمية المشتركة بين الطلاب المعنيين بالفتوى والإفتاء.

مادة 22: إقامة الدورات التدريبية على الاجتهاد الجماعي - باعتباره أبرز أوجه التعاون الإفتائي - وما يتطلبه الأمر من الأنشطة المعنية، والمعلومات، والمعارف الفقهية، والإفتائية.

مادة 23: التوسع في تبادل الزيارات الإفتائية، وإقامة الندوات والمؤتمرات.

مادة 24: تبادل التكنولوجيا الرقمية بين أعضاء الأمانة.

مادة 25: تبادل التجارب الإدارية الناجحة بين أعضاء الأمانة.

مادة 26: العناية بالاستفادة من الجهود البحثية السابقة في مجالات التقارب والتعاون.

مادة 27: التوسُّع في إنشاء المراكز البحثية المبنية على التعاون والتكامل الإفتائي.  
 مادة 28: دعمُ جهود البحث في مجال الإدارة الإفتائية، والتشبيك بين مؤسسات الإفتاء وهيئاته.

مادة 29: وضعُ إجراءاتٍ لدعم التسامح الفقهي والإفتائي التي تتضمن دعمًا للتعاون الفقهي والإفتائي.

مادة 30: السعيُّ لإنشاء وسائل إعلامية متحدة تعنى بالفتوى والإفتاء تحت مظلة الأمانة.

مادة 31: تكاتف الجهود لوضع آلية مناسبة لمواجهة الفتاوى الشاذة؛ كفتاوى التطرف والإرهاب، والفتاوى المناقضة لمسلّمات الشريعة.

مادة 32: صياغة وتنفيذ مشاريع إفتائية في إطار شراكات نشطة بين دور وهيئات الإفتاء.

مادة 33: التحسينُ المستمر لسبل التعاون والتكامل في المجال الإفتائي، وذلك بما يلي:

\* استثمارُ خصوصية المؤسسات والمجتمعات في التكامل، وتحديث تحديد الأدوار.

\* الإفادةُ بصفة مستمرة من جديد التجارب العالمية للدول والمنظمات المحلية والدولية في مجال التعاون والتكامل.

\* ترتيبُ أولويات التعاون والتكامل بحسب الحاجة والضرورة.

\* وضع الخطط الاستراتيجية الداعمة لتوزيع المهام، والأدوار في سبيل تحقيق أهداف التطوير الجماعي لعملية الإفتاء؛ تحقيقًا للتكامل، مع التحسين المستمر لها.

### الباب الثالث

#### ضوابط التعاون والتكامل

مادة 34: التعاونُ والتكاملُ يأتي في إطار صون الاعتقادات والتعاليم والقيم الإسلامية، القائمة على الوسطية والتعايش.

مادة 35: احترام سائر الفتاوى المنضبطة الصادرة عن دُور وهيئات الفتوى المعتمدة، والتعاون على دعمها؛ بكشف مناسبتها لأحوال وأماكن المستفتين.

مادة 36: تعزيز العلاقات بين دور وهيئات الإفتاء على أساس العدل، والاحترام المتبادل، والأهداف المشتركة؛ لضمان الوئام، والتوجه نحو تحقيق الرسالة.

مادة 37: التعاون والتكامل إنما يكون بين المؤسسات التي تلتزم بوسطية الإسلام وسماحته وتعايشه مع الإنسانية، وتحقيق مصالح سائر العباد.

مادة 38: يكون التعاون في ظل الحفاظ على الهويات التاريخية لسائر الأعضاء.

مادة 39: تطبيقات التعاون والتكامل بين دور وهيئات الإفتاء يأتي في سياق التساوي وعدم التمييز تجاه بعضها البعض.

مادة 40: تعتبر الظروف والأوضاع الخاصة في تطبيق آليات التعاون والتكامل.

مادة 41: نعتبر الأمانة العامة لدور وهيئات الإفتاء في العالم هيئةً جامعة للتخطيط والتنسيق والمتابعة لسير التعاون والتكامل بين دور وهيئات الإفتاء. وعليه فنُفَوِّضُ الأمانة العامة فيما يلي:

- \*تخطيط سبل التعاون، ووضع البرامج والاستراتيجيات، وتنفيذها ومتابعتها.
- \*التواصل مع المنظمات والمؤسسات ذات الخبرة في مجال التعاون المثمر للإفادة من تجاربها، وعلى رأسها: منظمة التعاون الإسلامي، والأمم المتحدة.
- \*إعداد وتنفيذ البرامج التدريبية والتعليمية اللازمة لنشر التسامح الفقهي والإفتائي.
- \*تنفيذ بنود هذه الوثيقة، واتخاذ ما يلزم لذلك.
- \*إضافة ما يستجد لهذه الوثيقة، بما يدعم التعاون والتكامل بين دور وهيئات الإفتاء في العالم.

مادة 42: ضمان المشاركة الفاعلة لأعضاء الأمانة، وسائر المعنيين بالفتوى والإفتاء من المؤسسات المعتمدة في وضع استراتيجيات التعاون والتكامل، وتنفيذ خططها.

## رسول الله يا خير البرايا

شعر الشيخ الحبيب المستاوي

ويا أمل المفتح بالرزيا	رسول الله يا خير البرايا
وصرح الحق قد أضحي عتيدا	بمولدكم نقشعت البلايا
وألست الورى أمنا وسلما	رفعت منارنا عملا وعلما
فابدل شرهم عهدا سعيدا	وكم قاسوا من الحكام ظلما
وجاء الهول إذ جزنا خطاكم	وسدنا لما سرنا على هداكم
فلا والله لن نبدي صدودا	ونحن اليوم نقبس من هداكم



## من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين (يسألونك قل..)

بقلم فضيلة الشيخ محمد الحبيب النفطي - رحمه الله

### حول مسائل تتعلق بالجنائز من صلاة وغيرها

السؤال: يقول السائل الكريم م- ط- د : ما هو حكم الإسلام في جنازة وضعت للصلاة عليها خارج الجامع أي في سباج الجامع وأقيمت الصلاة عليها داخل الجامع أي وضع الميت خارج الجامع؟

- أيهما أحسن مبيت الميت في المنزل الذي مات فيه مغسلاً مكفناً أو يبيت من غير غسل وتكفين إلى وقت حمله إلى المقبرة ويبقى في المنزل يوماً أو يومين وعسى من يوجد حوله من الذاكرين وقراء القرآن الكريم

- نجد البعض من الجيران يقدمون الأكل والشاي إلى المقبرة أي إلى حافري القبر لكونهم خرجوا من بيوتهم بكرة فهل هذا جائز شرعاً أم لا؟

- بعد انتهاء الدفن يطلب أهل الميت التحاق الناس بهم إلى منزل الميت لإكرامهم بالأكل والشرب والذبايح ليلاً لتكون صدقة على ميتهم فهل هذا جائز أم لا؟

مع العلم سيدي الشيخ أن كل ما ينفقه أهل الميت يأتيهم من الجيران أكثر منه من المعزين وهذا العمل خاص بأهل البادية وهو يتزايد يوماً فمما هو رأي الدين في هذا؟ أرجو مزيد البيان والتوضيح أكثر والسلام

الجواب: اعلم ايها السائل الكريم ان الصلاة على الجنازة مكروهة عند مالك وابي حنيفة في المسجد او في رحابه وهو الجاري به العمل عند أهل المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام في عهد مالك رحمه الله وقبل عهده وعمل أهل المدينة مقدم عند مالك على خبر الأحاد لأن عمل أهل المدينة منزل منزلة الحديث النبوي المتواتر الذي لا يتطرق اليه الشك عادة بخلاف خبر الاحاد أي انفراد الراوي الواحد برواية الحديث دون الجماعة يتطرق اليه الشك والاحتمال في الثبوت او يكون خبر الراوي الواحد قد نسخ والراوي لا يعلم بالنسخ وعليه فالصلاة على الميت في المسجد مكروهة عند الامامين مالك وابي حنيفة كما تقدم فقد روى ابو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال (من صلى على ميت في المسجد فلا شيء له) أي من الأجر اخرجه ابو داود في سننه واما الصلاة على الجنازة في المسجد فجائزة عند الامام الشافعي رحمه الله ويستدل على جوازها بحديث ام المؤمنين عائشة رضي الله عنها انها قالت (ما أسرع ما نسي الناس ما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على سهل او سهيل ابن بيضاء الا في المسجد) وعائشة رضي الله عنها استدلت بهذا الحديث الثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم عندما أنكر عليها الناس طلبها ان يمرؤا بجنازة سعد ابن ابي وقاص رضي الله عنه عليها لتصلي عليه او تدعو له في المسجد لكن جواز الصلاة على الميت في المسجد او رحابه مشروط عند الشافعي رحمه الله بأن لا يتقدم المأمومون في وقوفهم على الامام وان لا يتقدموا على الجنازة عند الصلاة عليها بل المطلوب ان يتأخر المأمومون عن الامام والجنازة معا هذا هو المطلوب شرعا عند الشافعي في الصلاة على الجنازة في المسجد.

- الافضل ان يسرع بدفن الميت اللهم الا اذا كان الميت مات موة فجأة أي بسكتة قلبية مثلالا بأس أن ينتظر بغسله وتكفينه ودفنه قدر يوم وليلة من موته 24 ساعة عسى أن ترجع اليه روحه اما اذا مات الميت موة عادية بسبب مرض أنهكه إلى أن مات فالأفضل التعجيل بتجهيزه ودفنه قال صلى الله عليه وسلم (من إكرام الميت تعجيل دفنه وقضاء دينه وانفاذ وصيته) ان كان له وصية مما يباح شرعا ان يوصى به اما قراءة القرآن الكريم عند احتضار الميت أي في حال خروج الروح فهي جائزة بل مستحبة قال صلى الله عليه وسلم (اقرأوا عند موتاكم سورة يس) واما رفع الأصوات بالذكر او قراءة القرآن الكريم او غيرهما في حال تشييع الجنازة إلى المقبرة فبدعة منكرة قال صلى الله عليه وسلم (ان الله يحب الصمت عند ثلاث عند

تلاوة القرآن وعند الزحف أي هجوم جيش الإسلام على الكفار في الجهاد وعند الجنائز (رواه الطبراني في الكبير عن زيد بن أرقم رضي الله عنه كذلك من المنهي عنه شرعا ان نتبع الجنائز بمجمرة أي مبخرة

- ومن البدع المنكرة الاتيان بالطعام إلى المقبرة وتفريقه على الذين يقومون بحفر القبر كأن هؤلاء الذين يحفرون القبر ناسون للموت غير متذكرين للمصير الذي صار اليه من يحفرون قبره اذ لو كانوا متذكرين للمصير ما حلا لهم أن يأكلوا ويشربوا - قال الشيخ ابن الحاج صاحب كتاب المدخل ويحذر اهل الميت من هذه البدعة التي يفعلها بعضهم وهي الاتيان بالطعام وتفريقه على الفقراء في المقبرة لانه ليس من السنة قال عليه الصلاة والسلام (من احدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد) أي مردود عليه فلا يقبل عند الله وصاحبه مؤاخذ عليه يوم القيامة لابتداعه في الدين وتشريعه ما لم يأذن به الله تعالى

- كذلك من البدع المنكرة شرعا هو ان يدعو اهل الميت الناس الذين حضروا لتشيع الجنائز ودفنها كأنهم يريدون مكافأة من حضر لتشيع جنازتهم ودفنها بتقديم الطعام لهم بل المطلوب شرعا هو ان جيران اهل الميت هم الذين يصنعون الطعام لأهل الميت هذه هي السنة المحمدية قال صلى الله عليه وسلم عندما مات ابن عمه جعفر ابن ابي طالب رضي الله عنه في غزوة مؤتة (اصنعوا لآل جعفر طعاما فقد أتاهم ما يشغلهم) رواه ابو داود والترمذي هذا ولا فرق بين اهل البادية وغيرهم فيما يتعلق بصنع الطعام وتقديمه لأهل الميت من قبل جيرانهم اما ان يصنع اهل الميت الطعام ويقدموه إلى المعزين فهذا أمر غير مشروع في الدين الإسلامي الحنيف بل بدعة من البدع التي اضيفت إلى الإسلام خصوصا خلال الثلاثة ايام من موت الميت والله الهادي إلى سواء السبيل :





## سباحة غريق في بحر سيدي بلحسن الشاذلي...

بقلم : صالح الحاجة

وجدت نفسي أبكي ودموعي تنهمر... وقلبي يكاد يتوقف وأنا أقرأ ما كتبه الصديق العزيز محمد صلاح الدين المستاوي على « الصريح أونلاين » عن مقام سيدي ومولاي الامام بلحسن الشاذلي ومهرجانه السنوي العاطر... بكيت ومازلت وانا اكتب هذه الكلمات ابكي ولا ادري لماذا بكيت... وابكي ودموعي لم تكف ولكنها قد تكون دموع تجليات... دموع ذنوب... دموع تعب وارهاق فلقد اتعبتني الايام... وارهقتني الظروف... وقهرتني تحولات... وتطورات... ومنغصات... وأحقاد... وصعوبات... ولا يرد القضاء إلا الدعاء...

ولذلك تراني لا اتوقف عن الدعاء... انني لا أعيش مع الناس إلا بجسمي... أما روحي... أما وجداني... أما مشاعري فانها تسبح في بحر اللطف... فاللهم الطف بنا في ما جرت به المقادير... إن الناس الذين حولي لا يرون مني علاقتي برب العرش الذي لا الجأ إلا إليه... ولا استعين إلا به... ولا أطمع في خير إلا منه... ولا احتتمي إلا به من كل غدر... ومن كل قهر... ومن كل شر... ومن كل عسر... فنحن في كنف الله... ونحن في كنف القرآن... وما سباحتنا في بحر شيخنا وسيدنا بلحسن الشاذلي إلا سباحة غريق يبحث عن النجاة عند من لا نجاة الا برحمته... فيا رحمان يا رحيم لقد لجأنا اليك فليس لنا سواك... ولا مهرب منك الا منك اليك... فلا تخيننا... ولا تهزمننا... فأنت القوي ونحن الضعفاء... وانت القريب الذي تستجيب للداعي إذا دعاك... اني ببابك ابكي... واستغثت... واستنجد... أرجو عفوك ومغفرتك ورحمتك... وسأنتظر دون كلل أو ملل... ولن اياس مهما طال انتظاري وليلي لانني اؤمن بان لا إله الا الله محمد عبده ورسوله:

Or ces paroles adressées à Allah pourraient tomber aisément dans des propos jubilatoires (Sath) comme l'a défini le philosophe égyptien 'Abd ar-Rhman Badawi dans son ouvrage « Satahat as-Sufiyya » (1981), c'est à dire se muer en paroles légères qui confondent l'image du Créateur à celle des êtres créés et qui s'autorisent une certaine liberté imaginative et littéraire en fonction de laquelle on se livre à des descriptions exagérées dont le sens apparent pourrait se confondre à la « Ressemblance », ou pour utiliser un terme plus savant l'anthropomorphisme.

Pour s'en protéger le Cheikh Alaoui fait recours à des formules traditionnelles ; il trouve le meilleur refuge dans les enseignements du Prophète Muhammad en disant:

S'il n'y avait pas le Messager vénéré, le Bien-aimé de l'Adoré

On serait égaré de cette existence et on divulguerait le secret d'Allah».

Aussi, le Prophète est le rempart contre toute divagation et toute dérive. C'est lui qui protège contre les égarements du *tawhīd*. Si ce dernier n'est pas coulé dans les formules réglementaires celles qui ont été établies par les propos prophétiques et coulées selon les modèles qu'il a approuvés et admis, l'attestation de foi et les représentations qui en découlent seraient proches de la dérive et tomberaient dans l'hérésie.

En ce sens, la *Munāğāt* est une forme licite d'invocation, un propos au juste milieu entre l'orthodoxie restreinte et les propos jubilatoires qui ne respectent pas la moindre limite religieuse et tombent facilement dans la dérive dogmatique. En plus c'est un texte littéraire litanique ou la langue arabe offre des ressources mélodiques, phonétiques et imagées des plus belles.

Qu'Allah enveloppe l'âme du Cheikh 'Alaoui dans son immense miséricorde

*Lā ilāha illā Allāh* est plus haut de toute chose.

*Lā ilāha illā Allāh* est plus chère de toute chose.

*Lā ilāha illā Allāh* est plus parfumée de toute chose.

*Lā ilāha illā Allāh* est plus proche de toute chose.

*Lā ilāha illā Allāh* est plus grande de toute chose.

*Lā ilāha illā Allāh* est plus évidente de toute chose.

*Lā ilāha illā Allāh* ! Nul ne lui est semblable

*Lā ilāha illā Allāh* ! Nul n'est avant Lui.

*Lā ilāha illā Allāh* ! Nul n'est après Lui.

*Lā ilāha illā Allāh* ! Nul n'est en dessus de Lui.

*Lā ilāha illā Allāh* ! Nul n'est en dessous de Lui.

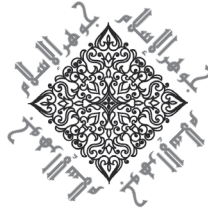
*Lā ilāha illā Allāh* ! Nul n'est avec Lui.

*Lā ilāha illā Allāh* est Unique, nul associé n'est avec Lui

Il possède la royauté et les louanges

Force est de constater ici l'énorme différence entre l'approche théologique qui s'engouffre, littéralement, dans des polémiques interminables et des débats sans fin sur les Attributs, les arguments les validant ou les invalidant et cette approche de *Munāğāt* qui se pose en déca des controverse où l'âme se livre à un dialogue intime et direct avec le Seigneur des terres et des cieux, où l'âme ne ressent plus que la présence divine ; celle qui emplit l'univers et le cœur, celle qui embellit l'existence en entier.

Toutefois, le but de cette *Munāğāt* est le *Tanzīh*. Ce terme est difficile à traduire. Il désigne, sommairement, le fait de réfuter toute forme de ressemblance entre créatures et le Créateur, de confirmer le caractère absolu de son Essence dont aucun défaut ne peut en entacher la perfection absolue. C'est la transcendance totale qui éloigne la vérité divine de tout entendement et le rend au-dessus de toute description. Ainsi les phrases de cette *Munāğāt* se succèdent en chantant ce tanzih absolu et en rappelant la confiance totale que le serviteur place à son Seigneur.



## Le «Munagat» du Cheikh Ahmad AL-Alawi (1869-1934)

*Nejmeddine AL-MADANI*

Cheikh Aḥmad Al-‘Alāwī (1869-1934), dont nous avons récemment célébré le 87<sup>ème</sup> anniversaire de décès, fut connu pour sa plus grande finesse spirituelle. Lorsqu’il traite la question de *Tawḥīd*, il l’aborde avec une réelle subtilité et profondeur que ne l’on trouve pas chez ses congénères. Ses poèmes, ses Traités et épîtres expriment clairement cette position. Cependant son texte de *Munāḡāt* révèle davantage cet esprit. Commençons par définir ce genre à la fois littéraire et théologique. *Munāḡāt* est un nom verbal, dérivé du verbe *nāḡā/yunāḡī* qui désigne le fait de murmurer de parler à voix basse, en l’occurrence avec Allah. En effet, le serviteur s’adresse à Lui pour L’appeler, L’invoquer et Lui exprimer les sentiments de faiblesse et de servitude. Le plus souvent, cette *Munāḡāt* se fait dans un style châtié, car elle relève du discours amoureux adressé au Bien-aimé suprême. Toutefois, elle se fonde sur les concepts de l’unicité et du *Tanzīh* d’où ce nombre important de références coraniques qui l’émaillent. Ainsi, l’auteur al-‘Alaoui évoque plusieurs versets et traditions pour transcender ses sentiments de *‘ubūdiyya* (servitude absolue). Dans son texte, que les disciples récitent et parfois apprennent par cœur, Cheikh al-‘Alaoui met l’accent sur la parole de l’unicité :

Lā illāha illā Allāh, en la déclinant dans tous les sens :

tion, mais un acte de paix. Il refusa de capituler et exigea de s'exiler. Il sera trahi par les autorités de la France. Le Général Lamoricière avait souscrit à la condition par crainte : « ... *par sa foi, par son éloquence, par les batailles qu'il a livrées, par les succès qu'il a remportés, un homme est devenu le vivant symbole d'une idée qui agit profondément sur les masses, il représente un immense danger aussi longtemps qu'on le laisse dans son pays.* »

Ce fut le temps du combat intérieur et civilisationnel. Après sa libération Napoléon III lui a proposé de prendre la tête d'un royaume arabe, s'étendant de la Méditerranée au golfe d'Akaba, en vue de s'opposer aux prétentions britanniques et à l'instabilité, marquée par le recul de l'influence turque et des dissensions. D'autres puissances européennes lui proposaient des alliances. L'Émir, fidèle à ses principes, avec l'art diplomatique qui était le sien, déclina toutes les propositions. Il ne voulait en rien participer aux manœuvres politiciennes et à des risques de divisions des musulmans, ni s'impliquer avec la puissance occupante de sa patrie. Il encourage la modernisation du monde arabe. Il effectua un dernier voyage à Paris en 1867 pour visiter l'exposition universelle. En 1869, il assiste à l'inauguration du Canal de Suez. Témoinnant d'un grand intérêt pour les sciences et les innovations techniques.

### **Défenseur des droits humains**

À Damas en 1860, lors d'émeutes dans le cadre d'un conflit inter-confessionnel, l'Émir au prix de sa vie et de ses compagnons, a sauvé quinze mille chrétiens de la mort. Le monde entier lui rendit hommage. Il reçut des distinctions. Il était attaché à ce qui pouvait concilier l'Orient et l'Occident. Il échappe à toute catégorisation ou tentative d'instrumentalisation. Le peuple Algérien reconnaît en l'Émir son modèle, parce qu'il a été le chef de la résistance et le fondateur de l'État moderne algérien, au sens de l'État de droit et non d'un appareil à qui on confie le sort du peuple. Être digne de l'héritage de l'Émir, c'est œuvrer à l'État stratège, à la légitimité populaire, à l'éducation éthique, au lien entre authenticité et modernité.

à l'évêque Dupuch, il écrit : *« J'ai combattu pour ma religion et mon pays. J'ai rempli mon devoir. Et maintenant que je suis impuissant, je n'y peux rien ...Lorsque Dieu m'enjoignit de me lever, je me suis levé. J'ai fait parler la poudre jusqu'à l'extrême limite de mes possibilités. »* Tout en donnant sa parole qu'il ne s'immiscera pas dans les affaires de son pays, il proclame : *« je n'abandonnerai pas mon peuple ! »* Mettre fin à la résistance et s'exiler, a été l'acte le plus douloureux de sa vie. Le 21 décembre 1847, l'Émir réunit son conseil de guerre pour la dernière fois : *« J'ai tenu à ce que, aucun musulman ne peut m'accuser de n'avoir pas tout fait pour que triomphe la cause que nous avons défendue ensemble. Si vous vous estimez qu'il y a encore quelque chose à tenter, dites-le. Si, au contraire, rien n'est digne d'être tenté, je vous demande de me dégager du serment que je vous ai tenu le jour où je vous ai demandé le vôtre »*. Tenant compte de leur avis, l'Émir proclame : *« La lutte est finie. Nous avons combattu quinze années, pour sauver notre peuple de la domination que puis-je faire encore alors que la cause est pour le moment perdue. Que peuvent les tribus en face d'une armée puissante qui emploie tous les moyens pour les anéantir... »*

En visionnaire, il savait qu'un jour l'Algérie retrouvera sa souveraineté. Il avait confiance aux futures générations de son pays. Ne voulant pas abandonner son peuple, il l'exprimera : *« je ne pouvais me résoudre à descendre de mon cheval et dire un éternel adieu à ma patrie. J'avais juré de défendre mon pays et ma religion jusqu'à ce qu'aucune force humaine n'y puisse plus suffire »* il précise : *« je n'ignorais pas quelle serait l'issue plus ou moins tardive de la lutte... la conscience apaisée, je sais que le temps à l'échelle de l'histoire d'un peuple ne peut être que celui du rétablissement de la justice »* Confiant : *« Jamais ce peuple ne se soumettra. Cette terre n'acceptera pas le joug de l'étranger »*. Il écrit *« tu as atteint ton but, Abdelkader, sois tranquille, ta nation revivra et le rameau de la guerre libératrice ressuscitera »*.

## La culture de la dignité

L'Émir se résout à mettre fin à la guerre sous conditions. Il obtient la solennelle promesse d'avoir la liberté de se rendre en Orient. Le 24 décembre 1847 la cérémonie, à Sidi -Brahim, n'était point une reddi-

*mer. »* Au système colonial, son discours était implacable : *« Dans les batailles, vous perdez autant d'hommes que nous... Nous vous combattons à l'instant que nous jugerons favorable ; et vous savez que nous ne sommes pas lâches... Est-ce que le flot cesse de soulever ses vagues, quand un oiseau l'effleure ? Telle est l'image de votre passage en Afrique »*. Son sens de la guerre juste et sa culture de la paix s'expriment en 1837 par un texte sur le droit des prisonniers. Puis en 1843 par un décret sur l'art de la guerre : *« Tout individu qu'il soit malade, blessé ou prisonnier ou incapable de se défendre doit être traité avec humanité et sans la moindre discrimination. »* Il n'a pas confondu entre hostilité et haine, entre l'armée coloniale et la religion de l'autre.

Il exhortait à l'union : *« Sinon, ils vous réduiront au joug et à l'humiliation. Remerciez-moi donc d'être leur ennemi mortel. Tribus, debout ! Ce que j'exige de vous, c'est la discipline, la concorde, afin que nous puissions triompher »* Les grandes difficultés étaient le déséquilibre des forces, de par la puissance technique et industrielle de feu, le nombre de soldats de l'armée coloniale, dix fois supérieur, avec une brutalité funeste, marquée par nombre de charniers, qui ravageait le pays. Le combat était inégal entre un chevalier intrépide, fort de sa cause juste et de la fidélité de ses soldats, face à la plus puissante armée du XIXe siècle. Les forces occupantes s'engagent dans une politique de colonisation généralisée et d'extermination. En 1843 le duc d'Aumale s'empare, en l'absence de l'Émir, de la Smala, capitale mobile, reflet du génie du chef de la résistance, et détruit sabibliothèque, plus de cinq mille livres. Aux crimes de guerre s'ajoute un génocide culturel. L'Émir sonne l'alerte : *« Le pays est en danger. Si l'on ne se dresse pas tous ensemble. »*

## Vaincu mais triomphant

Malgré une victoire en septembre 1845 à la bataille de Sidi Brahim près de Chleff, il dut se replier un temps en Kabylie puis au Sud-Ouest. Ni Istanbul ni Rabat le soutenaient. Après dix-sept ans, un record, il décida en 1847 de mener un dernier combat et de préparer la négociation, pour poser ses conditions. Manquant de soutien, de munitions et de logistiques, une partie de ses troupes décimées, dans une de ses lettres

Pour l'Émir, la résistance, le petit jihad, n'a de validité qu'en cas de légitime défense, avec des conditions strictes, derniers recours pour rétablir la paix. Il prohibait toute forme de sauvagerie. Il fit preuve de bravoure et d'un sens de la tactique militaire inégalé. Maître et possesseur de l'espace, il sillonnait l'Algérie avec sa Smala, capitale itinérante. Sur le plan de l'économie de guerre, il était conscient que la résistance a besoin d'une industrie. A Tlemcen et Miliana, il fit construire une fonderie de canons et armurerie. Il sollicitait des puissances européennes pour une coopération. Les premières années, le système de guérilla et de blocus imposé par l'émir a fonctionné. Malgré des trahisons, la plupart des tribus suivent l'Émir qui remporte des victoires. Il ne s'agissait pas seulement de se battre, mais en même temps de bâtir un État de droit, de rénover la société sur la base de principes civilisationnels.

## Un modèle de droiture

Par sa droiture, sa force et son intelligence. Il disait à ses compagnons « *je ne veux pour moi aucun des prestiges auxquels vous pensez* ». Avec un haut sens de la diplomatie, il s'impose et signe des traités qui lui permettent de faire reconnaître son autorité d'abord sur l'Ouest, puis une bonne partie de la patrie. Par ces répit, il a habilement fortifié son armée et les institutions. Il consultait ses compagnons : « *Que personne parmi vous ne vienne jamais m'accuser de vouloir faire la paix. C'est à vous de décider* » Mais l'armée coloniale viola les traités. L'émir répondait : « *...je n'ai jamais trahi la parole donnée* » Il exige que tout algérien musulman, où qu'il se trouve, soit placé sous sa juridiction exclusive. Lors de la signature du traité de la Tafna des témoins français décrivent la grandeur de l'Émir, de son État et de son armée : « *on vit Abdelkader et son escorte s'avancer. Le spectacle était imposant. Près de deux cents chefs arabes, sur leurs chevaux de guerre, se pressaient autour de l'émir ...* »

Il sensibilisait son peuple : « *Soyez assurés que si je ne m'étais pas opposé fermement aux invasions des Français, ils se seraient déjà abattus sur vous, ils n'ont quitté leur pays que dans le but de conquérir et de réduire le nôtre en esclavage. Mais je suis l'épine que Dieu leur a plantée dans les yeux, et si vous voulez m'aider, je les rejeterai à la*



le vivre ensemble comme un bienfait, sachant que la foi n'a de sens que si elle est arrimée au bien commun. Après son combat anticolonial, vaincu mais triomphant, en captivité, refusant tout compromis, et ensuite libre à Damas, l'Émir Abdelkader s'est consacré aux questions du progrès conjugué à l'authenticité, à l'humanité une et plurielle. Les dimensions de l'Émir sont indissociables : maître spirituel, chef de la résistance, fondateur de l'État algérien moderne et penseur. Il a mené les combats essentiels avec droiture et hauteur de vue.

Des documents multiples sont disponibles, à partir de ses propres écrits et ceux des témoins et des chercheurs. Lemanuscrit autobiographique de l'émir date de 1849, intitulé *Tuhfat Ezzair*. De son vivant, fut publié *Rappel au raisonnable et avis au distrait*, traduit par « Lettre aux français », écrit durant sa détention. Dans son livre s « Le livre des haltes », *El Mawâqif*, il traite de l'éducation de l'âme, de ses réalisations spirituelles, sa propre expériencesoufie, et en prolongement de l'œuvre d'Ibn Arabi. Savant pluridisciplinaire, il a eu des échanges de lettres avec des centaines de personnalités et courants de pensée à travers le monde. Il a réalisé les perfections spirituelles sur les traces du Prophète. L'émir a initié l'idée de Renaissance, Nahdha. Le réformiste Shakîb Arslân (m. 1946), dans *L'état actuel du monde musulman*, exprime son admiration pour l'Émir. Modèle de la plénitude, il fut l'homme de tous les combats : du droit des peuples à disposer d'eux-mêmes, des droits humains et du dialogue des civilisations. Il a fait connaître l'Algérie et le vrai visage de l'islam.

### La résistance anticoloniale

À vingt-trois ans, le 21 Novembre 1832, sur proposition de son père et à la demande de personnalités de l'Ouest de l'Algérie, il est investi en qualité d'Émir, pour mener la résistance. Une deuxième réunion, de chefs de tribus de plusieurs régions du pays eu lieu. Il a tenu à ce que son « élection » soit élargie par la « *moubayaa* ». Un destin qu'il a assumé, tout en reconnaissant : « *Je n'étais pas né pour faire la guerre. Et pourtant, j'ai porté les armes toute ma vie !* » Il refusa le titre de « Roi », ou de « Sultan », préférant celui d'Émir, afin de marquer qu'il n'avait pas d'ambition personnelle. Il transmit une missive aux tribus qui n'avaient pas participé : « *Le moyen d'unir la communauté, de refouler et de battre l'ennemie qui envahit notre patrie...* »



# L'émir Abdelkader le modèle universel

*Par Mustapha Cherif<sup>(1)</sup>*

L'émir Abdelkader el-Djazairi el-Hassani est un modèle universel sur tous les plans. Des leaders se sont inspirés de son œuvre, comme Ghandi, Martin Luther King et Mandela. Il a traduit dans la vie concrète l'idéal : l'homme accompli, total. En ces temps de crises, c'est l'Algérie et toute l'humanité qui ont besoin de ses enseignements. Le meilleur homme, disait-il, est celui qui est le plus utile à l'humanité. Il est le fruit de la culture de l'Algérie. Descendant et disciple du Prophète son excellent modèle, l'émir Abdelkader a combattu le colonialisme, puis les extrémismes. Il disait que la loi du plus fort, le racisme et le matérialisme sont voués à l'échec. Isthme, être de nature, de raison et de spiritualité, il prouve que nul n'a le monopole de la vérité.

## L'actualité de sa pensée

Le monde peut trouver dans cette figure universelle une méthode et un souffle pour relever les défis de notre temps. Les calomnies déliantes et isolées contre lui sont la conséquence de l'ignorance, et en fait contre l'alternative qu'il représente face aux impasses. Il abordait

---

(1) professeur des Universités, philosophe et historien, lauréat du Prix Unesco du dialogue des cultures, auteur de « L'émir Abdelkader apôtre de la fraternité », éditions Odile Jacob, Paris 2016.

cellence, mais que reste-t-il donc à ceux d'entre nous qui ne sont pas en mesure de suivre le chemin de la difficulté en toutes circonstances ? La réponse nous est fournie par ce *hadîth* célèbre dans lequel un compagnon demanda au Prophète, sur lui la grâce et la paix, d'invoquer Dieu en sa faveur afin qu'il soit son compagnon en paradis. « Et qu'as-tu préparé en vue de ce jour lui demanda-t-il. Je n'ai multiplié ni les prières, ni les jours de jeûne, répondit le compagnon, mais j'ai pour moi l'amour de Dieu et se son Envoyé, lui répondit-il. Réjouis-toi, lui dit alors le Prophète, car l'homme sera réuni avec ceux qu'il a aimés. » Ainsi l'amour de celui-ci est-il en définitive le moyen le plus simple, le plus universel et serait-on tenté de dire le plus facile, d'accéder à Dieu, ici-bas et dans l'ultime demeure. C'est pourquoi, il convient de ne pas gâcher les occasions de lui témoigner son amour, en se livrant à des querelles mesquines, peut-être nous sera-t-il fait la grâce d'être réunis avec « ceux que l'on aime » au jour où ni les biens ni la descendance ne seront d'aucun secours, si ce n'est de se présenter devant Dieu avec un cœur pur.

En conclusion, nous dirons que la célébration du *mawlid*, en tant qu'aspect de l'Islam dont le sens renvoie à la notion de soumission, n'a pas vocation à servir de faire valoir. Bien au contraire, notre considération pour la grandeur du Prophète doit annihiler toute prétention égocentrique puisqu'il est, comme le déclame l'imam al-Busayrî, *un rubis, alors que les hommes ne sont que des pierres communes*. Que peuvent donc représenter les distinctions mondaines quand l'un des principaux transmetteurs du Coran selon le *hadîth*<sup>(2)</sup>, l'éminent compagnon, Sidnâ 'Abdallah b. Mas'ud, se flattait du surnom de *sâhib al-na'layn*, le porteur des sandales du Prophète, qui lui avait été donné. Ce titre était à ses yeux le plus noble de ceux auxquels il pouvait légitimement prétendre.

Par conséquent, la célébration du *mawlid* doit être l'occasion de taire son égo afin de vénérer et servir le Prince de la création, chacun selon ses moyens, et de se réjouir de sa naissance avec pour unique objectif d'obtenir sa satisfaction – sur lui la grâce et la paix –.

---

(2) Référence au *hadîth* : « Prenez le Coran de quatre individus : 'Abdallah b. Mas'ud, Ubay b. Ka'b, Mu'adh b. Jabal et Salîm l'affranchi d'Abû Hudhayfa » Bukhârî (4999) & Muslim (2464)

lui sera pas plus cher que son fils, son père et le reste de l'humanité ». Or pour ceux qui n'ont pas eu la chance ni l'honneur de le rencontrer de son vivant, la célébration du *mawlid* demeure un moyen privilégié d'afficher cet amour qu'il exige de nous afin d'être agrégé au nombre des croyants authentiques ; et la moindre des choses, dans de telles circonstances, est d'afficher au minimum une unité de principe devant la personnalité exceptionnelle de celui qui a motivé cette réunion.

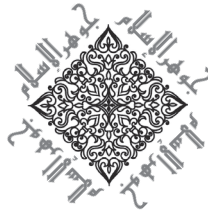
Au reste, les non musulmans qui sont hostiles à l'islam ne se trompent pas de cible, quand ils cherchent à nous blesser en s'en prenant à la personne du Prophète. Mais il suffit pour s'en consoler de se souvenir de ce propos d'Abû Mûssâ al-Ash'arî selon lequel lorsque les Quraysites insultaient le Prophète les musulmans se réjouissaient à l'idée qu'ils n'allaient pas tarder à en payer le prix. C'est donc bien lui qui marquait la séparation rédhibitoire entre foi et mécréance, lumière et ténèbres, etc., en vertu du verset selon lequel « *Nous n'étions pas enclin à châtier avant d'avoir envoyé un Prophète* » ou encore « *Par Dieu, ils n'auront pas la foi tant qu'ils ne t'auront pas fait juge de leurs différends.* »

Et nous sommes tenus, en vertu de ce devoir de conformité à la loi prophétique, de rechercher l'excellence en toute chose : « *Conformez-vous au meilleur de ce qui vous a été révélé de la part de votre Seigneur<sup>(1)</sup>.* » Ce verset nous incite donc à éviter les solutions de facilité et les positionnements médiocres à l'instar du Prophète, qui tout en facilitant la tâche aux membres les plus faibles de sa communauté, s'imposait à lui-même une discipline extrêmement rigoureuse, partagé entre la faim, les jeûnes, les veillées pieuses, le dénuement, les efforts de guerre et les sacrifices humains sans que cette recherche ne le conduise à baisser les bras. Ainsi, alors qu'il passait la nuit en prière et que l'afflux de sang avait fini par faire enfler ses pieds, al-sayyida 'Aisha lui demanda pourquoi il s'infligeait un tel traitement alors que Dieu lui avait pardonné ses péchés antérieurs et à venir, la réponse du Prophète fut sans appel : « Ne serais-je pas un serviteur reconnaissant ? » Et même si nous ne sommes évidemment pas en mesure de l'imiter comme il conviendrait, la moindre des choses n'est-elle pas de respecter sa communauté et de prendre en compte les efforts de ceux qui œuvrent par amour de lui ? Au reste, le verset que nous venons de citer est manifestement destinés aux meilleurs de la communauté, ceux qui sont à la recherche de l'ex-

---

(1) Al-Zumar, (55, 39)

al-Dîn b. ‘Arabî rapporte à ce sujet une histoire édifiante qui servira à éclairer notre propos. Il nous dit en effet qu’il éprouvait de l’inimitié pour un homme qui n’aimait pas son maître Abû Madyan, et ce, jusqu’il ait eu une vision du Prophète – sur lui la grâce et la paix – qui lui en demanda la raison. Quand il la lui eut exposée, le Prophète lui demanda : Pourquoi ne l’aimes-tu pas à cause de l’amour qu’il a pour moi, plutôt que de le détester à cause de l’hostilité qu’il témoigne à Abû Madyan ? A dater de ce jour, affirme le shaykh, je n’éprouvai plus la moindre haine pour lui ni pour ceux qui, à un titre ou un autre, étaient des amoureux du Prophète. C’est en partant de ce postulat que nous pensions pouvoir réunir des gens qui, en dépit de divergences souvent superficielles, semblaient se reconnaître à travers cette vénération. Quelle ne fut pas notre surprise en constatant que l’amour du Prophète ne semblait pas être l’élément d’attraction essentiel pour certains participants; on avait parfois l’impression qu’ils cherchaient nettement à être « en tête d’affiche » et qu’ils ne daigneraient s’associer aux intervenants que sous certaines conditions les mettant en valeur. J’avoue que c’était un peu déroutant, d’autant plus qu’on s’attendrait à moins d’ego de la part d’« abnâ’ al-turuq », mais nous eûmes trop souvent l’occasion de constater que même la célébration de la naissance du Prophète pouvait être un prétexte à des batailles larvées entre différents tenants de « l’excellence ». Et c’est précisément là que le bât blesse. Si la communauté musulmane n’est plus capable de mettre temporairement de côté ses divergences, fût-ce par égard pour le Prophète, cela signifie, ni plus ni moins, qu’elle est dans un état de décomposition avancé. « *Si vous avez un différend quelconque remettez-vous en à Dieu et à Son Envoyé si vous avez la foi en Dieu et au Jour dernier* (4, 59). » Ce verset expose en effet la nécessité de faire taire nos divergences devant la décision de Dieu telle qu’elle est exprimée par Son Envoyé. D’autre part, l’Envoyé de Dieu affirme que « je ne suis pas mentionné dans une assemblée sans y être présent. » Ce qui revient à dire que se livrer à des querelles semi publiques dans une assemblée où le Prophète est évoqué revient quasiment à se disputer devant lui. Nous ne pensons évidemment pas que les personnes qui s’adonnent à ce genre de joutes, oratoires ou autres, soient bien conscientes de ce qu’implique leur attitude, il n’en reste pas moins vrai qu’elle constitue un témoignage navrant en notre défaveur. Le Prophète affirme que « le serviteur n’aura pas la foi tant qu’il ne



## La célébration du *mawlid* doit être l'occasion de taire son égo afin de vénérer et servir le Prince de la création

*Pr. Abdallah Penot*

Il y a quelques années en arrière, le shaykh Salah al-din al-Mistâwî fit l'amer constat de la quasi disparition de la célébration du *mawlid* à l'échelle de l'hexagone. Ce résultat était bien évidemment dû à la propagande salafo-wahhabite, selon laquelle la célébration de la naissance du Prophète était une *bid'a*, une innovation, toute innovation ne pouvant être autre que blâmable selon la rhétorique habituelle chère à ce groupe spécifique qui ne dut son essor qu'au soutien britannique dans un premier temps et U.S. à partir de la seconde moitié du 20<sup>e</sup> siècle. Le shaykh fit part de sa déception à quelques-uns de ses proches qui se résolurent à remettre cet événement à la fois religieux et « convivial » au goût du jour. C'est donc en grande partie grâce à son initiative qu'un certain nombre d'associations culturelles de la région parisienne décidèrent, il y a un peu moins d'une dizaine d'années, de célébrer l'événement dans des lieux assez modestes dans premier temps pour finir par occuper, en 2019, l'espace de l'institut du monde arabe devant un parterre plein. A côté de la nécessité de témoigner au Prophète la vénération et la reconnaissance qui lui sont dues par sa communauté, il nous semblait (j'entends par nous tous ceux qui avaient, à un titre ou à un autre, contribué à cette initiative) que cet événement était quasiment le seul à pouvoir rassembler l'ensemble des musulmans par-delà les clivages et les divisions qui les séparaient d'ordinaire. Sayyidî Muhyî

# SOMMAIRE

La célébration du mawlid doit être l'occasion de taire son égo  
afin de vénérer et servir le Prince de la création ..... 3

***Pr. Abdallah Penot***

L'émir Abdelkader le modèle universel ..... 7

***Par Mustapha Cherif***

Le «Munagat» du Cheikh Ahmad AL-Alawi (1869-1934)..... 13

***Nejmeddine AL-MADANI***



# **JAWHAR EL ISLAM**

Revue culturelle islamique - Tunisie

**Numéros 9 - 10 - 20ème année**